

# سؤالان فلا لفضاء والقتل

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الكريم بن تيمية

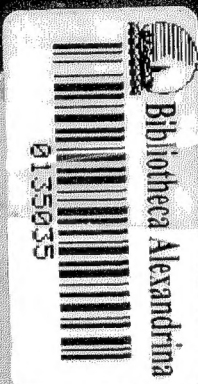
"٦٦١ - ٧٢٨ هـ"

أعد وضع أمارته وعلمه عليه

أبو المجدد كرك



الدار المصرية اللبنانية



تف





سَوَالَانِ

فِي الْفَضَاءِ وَالْشَّامِ



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



طاعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالحق كروب - الجبلون ٢٩٢٣٨٢٥ - ٢٩٣٦٧٤٢ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ - بولي داف ساندو - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة

AL DAR AL MASRIAH AL LUBNANIAH

PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALIQ KAWAT St. P.O. Box 2022 Cairo Egypt PHONE: 3926743 3923525 FAX: 3909618 CAMEL DARYIAD

# سؤالان في الفضاء والقتل

لشيخ الإسلام  
أحمد بن عبد أسلم بن تيمية  
"٦٦١ - ٧٢٨ هـ"

أعد وخرج أمارته وعلوم عليه  
أبو المجد حرك

الشيخ  
أحمد بن عبد أسلم بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم



## مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ،  
وبعد . .

فإن الاحتجاج بالقضاء والقدر مشكلة جدلية قديمة ،  
استحوذت عقودًا طويلة على اهتمام علماء المسلمين ، وما  
زالت حتى الآن مثار جدال وحيرة لأهل الفساد من العصاة  
المعاندين ، والكثيرين من الشباب الضائع الذي ينحصر جل  
علمه بالدين في قشور لا تغنى ولا تسمن ، وباليته مع ذلك  
يحسن العلم بها .

والاحتجاج بالقضاء والقدر لا تجده إلا على أفواه العصاة وأهل الذنوب ؛ يقولون : إذا كان الله قد كتب علينا اقتراف المعاصي فَلَمْ يَعِزْنَا وَيُدْخِلْنَا النَّارَ ؟ أو إِنَّا إِن كُنَّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ فَلَنْ تَفِيدَنَا الطَّاعَةَ ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَنْ تَضُرَّنَا الْمَعْصِيَةُ . . ولا تجد مثل هذه الأقوال الفاسدة على ألسنة أهل الطاعة الذين يعلمون أن دخولهم الجنة - إن شاء الله - إنما يكون - كما أخبر سبحانه - ﴿جَزَاءً أَيْمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وكذلك دخول أهل المعاصي والمشركين النار ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> صدق الله العظيم .

ولقد كان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - اليد الطولى في الرد على القدرين وتفنيد آرائهم ، وذلك بالحجة الدامغة والبرهان الساطع ، وبأسلوبه الرائق البليغ . ونحن نضع بين يدي القارئ الكريم الآن بعضاً من أقواله السديدة الجامعة في هذا الموضوع ، من خلال إجابته المستفيضة عن السؤالين المختارين هنا .

(١) سورة السجدة : الآية ١٧

(٢) سورة يونس . الآية ٤٤ .



وكعادتنا مع مختاراتنا من تراث شيخ الإسلام فقد قمنا بتوفيق الله وعونه بالإحالة إلى تخریجات كل الأحاديث الواردة في كلامه ، كما قدمنا تراجم مختصرة لجمهرة الأعلام الوارد ذكرهم في السياق ، وأوضحنا مواضع الآيات المذكورة في القرآن الكريم ، وصوبنا بعض ما صادفنا من الأخطاء في النقل ، ثم ذيلنا بعد ذلك بفهارس هجائية للأحاديث ولتراجم الأعلام .

نسأل الله أن ينفع بهذا العمل ، وأن يقبله منا ويجعله في صحائف أعمالنا الطيبة يوم العرض عليه ، وما توفيقى إلا بالله ، والحمد لله رب العالمين .

أبو المجد حرك

\* \* \*







## السؤال الأول

( ٢٦٢ - ٢٧١ / ٨ )

سُئِلَ شيخ الإسلام ، مفتي الأنام ، بقية السلف ،  
أبو العباس ، أحمد بن تيمية - رحمه الله - عن أقوام  
يحتجون بسابق القدر ويقولون : إنه قد مضى الأمر ،  
والشقي شقي ، والسعيد سعيد ، محتجين بقول الله  
سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا  
مُبْعَدُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> قائلين بأن الله قدر الخير والشر ، والزُّرَى  
مكتوب علينا ، ومالنا في الأفعال قدرة ، وإنما القدرة لله ،  
ونحن نتوق ما كتب لنا ، وأن آدم ما عصى ، وأن من قال :  
لا إله إلا الله دخل الجنة ، محتجين بقوله ﷺ : « من قال :

(١) الآية ١٠١ من سورة الأنبياء .

لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زُنِّي وإن سرق » <sup>(٢)</sup> فبينوا  
لنا فساد قول هذه الطائفة بالبراهين القاطعة ؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - :

الحمد لله رب العالمين : هؤلاء القوم إذا أصرروا على هذا  
الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى ، فإن اليهود  
والنصارى يؤمنون بالأمر والنهي ، والوعد والوعيد ،  
والثواب والعقاب ، لكن حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض  
وكفروا ببعض . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ  
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \*

(٢) أخرجه البخارى فى كتب : ( الجنائز ) ١ ، و ( بدء الخلق ) ٦ ،  
و ( اللباس ) ٢٤ ، و ( الاستئذان ) ٣٠ ، و ( الرقاق ) ١٣ و ١٤ ،  
و ( التوحيد ) ٣٣ ، وهو فى ( الفتح ) برقم ١٢٣٧ ص ٣ / ١٣٢ بأرقام  
١٤٠٨ و ٢٣٨٨ و ٣٢٢٢ و ٥٨٢٧ و ٦٢٦٨ و ٦٤٤٣ و ٧٤٨٧ . ورواه  
مسلم فى كتاب الإيمان ( ١٥٣ و ١٥٤ ) ، والزكاة ( ٣٢ و ٣٣ ) . ورواه  
الترمذى فى كتاب الإيمان ( ٢٦٩ / ٣ ) ، وأحمد ( ١٥٢ / ٥ ) : كلهم عن  
أبى در . وأورده الألبانى فى ( سلسلة الأحاديث الصحيحة ) برقم ٨٢٦  
ص ٣٩٩ .

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \*  
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ  
سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣﴾ فَإِذَا  
كَانَ مِنْ آمَنٍ بِيَعُضٍ وَكَفَرَ بِيَعُضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حَقًّا ، فَكَيْفَ  
بِمَنْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ ، وَلَمْ يَقْرَأْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ،  
بَلْ تَرَكَ ذَلِكَ مُحْتَجًا بِالْقَدْرِ ، فَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ آمَنٍ بِيَعُضٍ وَكَفَرَ  
بِيَعُضٍ .

### وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه :

أحدها : أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة  
للعبد ، وإما ألا يراه حجة للعبد ، فإن كان القدر حجة  
للعبد ، فهو حجة لجميع الناس ، فإنهم كلهم مشتركون في  
القدر ، وحينئذ فيلزم ألا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ  
ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل ،  
وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون ، فإن أحدهم لا يزال يذم  
هذا ، ويبغض هذا ، ويخالف هذا ، حتى إن الذي ينكر عليهم  
يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه ، فإن كان القدر حجة لمن

(٣) الآيات ١٥٠ - ١٥٢ من سورة النساء .

فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم ألا يذموا أحدًا ، ولا ييغضوا أحدًا ، ولا يقولوا في أحد : إنه ظالم ، ولو فعل ما فعل . ومعلوم أن هذا لا يمكن أحدًا فعله ، ولو فعل الناس هذا هلك العالم ، فتبين أن قولهم فاسد في العقل ، كما أنه كفر في الشرع ، وأنهم كذابون مفترون في قولهم : إن القدر حجة للعبد .

( الوجه الثاني ) : أن هذا يلزم منه أن يكون إبليس ، وفرعون ، وقوم نوح ، وعاد وكل من أهلكه الله بذنوبه - معذورًا ، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل .

( الوجه الثالث ) : أن هذا يلزم منه ألا يفرق بين أولياء الله وأعداء الله ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا أهل الجنة وأهل النار . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى

الْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿ أَمْ

نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

(٤) الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة فاطر .

أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٥﴾ وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ  
الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٦)  
وذلك أن هؤلاء جميعهم سبقت لهم عند الله السوابق ،  
وكتب الله مقاديرهم قبل أن يخلقهم ، وهم مع هذا قد  
انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح ، وإلى شقى بالكفر  
والفسق والعصيان ، فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة  
لأحد على معاصي الله .

( الوجه الرابع ) : أن القدر تؤمن به ولا نحتج به ، فمن  
احتج بالقدر فحجته داحضة ، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير  
مقبول ، ولو كان الاحتجاج مقبولا لقبل من إبليس وغيره  
من العصاة ، ولو كان القدر حجة للعباد لم يُعَذَّب أحد من  
الخلق ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولو كان القدر حجة  
لم تُقَطَّع يد سارق ، ولا قُتِلَ قاتل ، ولا أُقِيمَ حد على ذى  
جريمة ، ولا جُوهِدَ في سبيل الله ، ولا أُمِرَ بالمعروف ، ولا  
نُهِيَ عن المنكر .

(٥) الآية ٢٨ من سورة ص .

(٦) الآية ٢١ من سورة الجاثية .

( الوجه الخامس ) : أن النبي ﷺ سئل عن هذا فقال :  
 « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من الجنة ، ومقعده  
 من النار » . فقيل : يا رسول الله ، أفلا ندع العمل ونتكل  
 على الكتاب ؟ قال : « لا . اعملوا فكلُّ ميسر لما خُلِقَ  
 له » <sup>(٧)</sup> رواه البخارى ومسلم <sup>(٨)</sup> وفى حديث آخر فى  
 الصحيح « أنه قيل : يا رسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس  
 وفيه يكدحون - أفيما جفَّتْ به الأقلام وطُويتْ به الصُّحف  
 أم فيما يستأنفون مما جاءهم به ؟ - أو كما قيل - فقال : بل  
 فيما جفت به الأقلام ، وطويت به الصُّحف ، فقيل فقيم  
 العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له » <sup>(٩)</sup>

(٧) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة عن عليٍّ ، وهو هنا  
 بتصريف بسيط فى الألفاظ . انظر نص الحديث فى ( فتح البارى ) كتاب القدر  
 ٦٦٠٥ ص ١١ / ٥٠٣ ، و( صحيح مسلم ) كتاب القدر ٦ ص ٨ / ٦ . .  
 والحديث فى ( صحيح الجامع الصغير ) للألبانى برقم ٥٧٩٤ ص ٢ / ١٠٠٩ ،  
 وفى ( مشكاة المصابيح ) للتبريزى بتحقيق الألبانى رقم ٨٥ ص ١ / ٣١ ، وفى  
 ( كنز العمال ) برقمى ٥٨٠ ص ١ / ١٢٢ و ١٥٥٥ ص ١ / ٣٤٣ ، وفى  
 ( مختصر صحيح مسلم ) للمندرى بتحقيق الألبانى ، رقم ١٨٤٤ ص ٤٨٧ .  
 (٨) ستأتى الترجمة .

(٩) رواه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله ، وعند مسلم أن السائل كان  
 سراقه بن مالك بن جعشم ، انظر ( كتاب القدر ) حديث رقم ٨ =



( الوجه السادس ) : ان يُقال : إن الله علم الأمور وكتبها على ما هي عليه ، فهو سبحانه قد كتب أن فلاناً يؤمن ويعمل صالحاً فيدخل الجنة ، وفلاناً يعصى ويفسق فيدخل النار . كما علم وكتب أن فلاناً يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد ، وأن فلاناً يأكل ويشرب فيشبع ويروى ، وأن فلاناً يبذر البذر فينبت الزرع . فمن قال : إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح ، كان قوله قولاً باطلاً متناقضاً ؛ لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح ، فلو دخلها بلا عمل كان متناقضاً لما علمه الله وقدره .

ومثال ذلك من يقول : أنا لا أظأ امرأة ، فإن كان قد قضى الله لى بولد فهو يولد ، فهذا جاهل ، فإن الله إذا قضى بالولد قضى أن أباه يظأ امرأة فتحبلى فتلد ، وأما الولد بلا حبلى ولا وطفٍ فإن الله لم يقدره ولم يكتبه - كذلك الجنة إنَّما أعدها الله للمؤمنين ، فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان

---

ص ٨ / ٨ ، وأخرجه ابن ماحه من حديث سراقه نفسه ، والترمذى من حديث ابن عمر ، وغيرهم . وهو فى ( صحيح البخارى ) من حديث عمران بن الحصين ، انظر ( فتح البارى ) كتاب القدر ، حديث رقم ٦٥٩٦ ص ١١ / ٤٩٩ .

كان ظنه باطلاً ، وإذا اعتقد أن الأعمال التي أمر الله بها لا يحتاج إليها ، ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافراً ، والله قد حرّم الجنة على الكافرين ، فهذا الاعتقاد يناقض الإيمان الذي لا يدخل صاحبه النار .

## فصل

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ <sup>(١٠)</sup> فمن سبقت له من الله الحسنى : فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً ، فمن لم يكن من المؤمنين لم يسبق له من الله الحسنى ، ولكن إذا سبقت للعبد من الله سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به إلى تلك السابقة ، كمن سبق له من الله أن يؤكّد له ولد ، فلا بد أن يطأ امرأة يحبها ، فإن الله سبحانه قدّر الأسباب والمسببات ، فسبق منه هذا وهذا ، فمن ظن أن أحداً سبق له من الله الحسنى بلا سبب فقد ضل ، بل هو سبحانه مُيسّر الأسباب والمسببات ، وهو قدّ قَدَّرَ فيما مضى هذا وهذا .

---

(١٠) الآية ١٠١ من سورة الأنبياء

## فصل

وأما قول القائل : ما لنا في جميع أفعالنا قُدرة فقد كذب ، فإن الله سبحانه فرق بين المستطيع القادر وغير المستطيع ، فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ <sup>(١١)</sup> وقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ <sup>(١٢)</sup> وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ <sup>(١٣)</sup> والله قد أثبت للعبد مشيئة وفعلاً . كما قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(١٤)</sup> وقال : ﴿ جَزَاءُ إِيْمَاكَ أَنْ تَعْمَلُ ﴾ <sup>(١٥)</sup> لكن الله سبحانه خالقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة

(١١) جزء من الآية ١٦ من سورة التغابن .

(١٢) جزء من الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

(١٣) جزء من الآية ٥٤ من سورة الروم .

(١٤) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة التكويد .

(١٥) جزء من الآية ١٧ من سورة السجدة ، ومن الآية ١٤ من سورة الأحقاف ، والآية ٢٤ من سورة الواقعة ، وهذا المعنى متكرر في عدة سور في القرآن الكريم .

وعمل ، فإنه لا ربَّ غيره ، ولا إله سواه ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه .

## فصل

وأما قول القائل : الزُّنى وغيره من المعاصي مكتوب علينا ، فهو كلام صحيح ، لكن هذا لا ينفعه الاحتجاج به ، فإن الله كتب أفعال العباد خيرا وشرها ، وكتب ما يصيرون إليه من الشقاوة والسعادة ، وجعل الأعمال سببا للثواب والعقاب ، وكتب ذلك ، كما كتب الأمراض وجعلها سببا للموت ، وكما كتب أكل السم وجعله سببا للمرض والموت ، فمن أكل السم فإنه يمرض أو يموت . والله قدر وكتب هذا وهذا ، وكذلك من فعل ما نهى عنه من الكفر والفسق والعصيان فإنه يعمل ما كتب عليه ، وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك .

وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين ، الذين قال الله عنهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٦﴾  
 وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا  
 وَلَا آَبَاءُ نَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا قُلْ هَلْ  
 عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
 تَخْرُصُونَ \* قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

### فصل

ومن قال : إن آدم ما عصى فهو مكذب للقرآن ،  
 وَيُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ وَلَا قَتْلَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ وَعَصَى  
 آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ﴿١٩﴾ والمعصية : هى مخالفة الأمر  
 الشرعى ، فمن خالف أمر الله الذى أرسل به رسله ، وأنزل  
 به كتبه فقد عصى ، وإن كان داخلا فيما قَدَرَهُ الله وقضاه ،

(١٦) جزء من الآية ٣٥ من سورة النحل .

(١٧) جزء من الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

(١٨) تمام الآية السابقة نفسها ( ١٤٨ ) والآية ١٤٩ من سورة الأنعام .

(١٩) جزء من الآية ١٢١ من سورة طه .

وهؤلاء ظنوا أن المعصية هي الخروج عن قدر الله ، وهذا لا يمكن ، فإن أحداً من المخلوقات لا يخرج عن قَدْرِ الله ، فإن لم تكن المعصية إلا هذا فلا يكون إبليس ، وفرعون ، وقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وجميع الكفار - عصاة أيضاً ؛ لأنهم داخلون في قَدْرِ الله ، ثم قائل هذا يُضْرَبُ ويُهَانَ ، وإذا تظلم ممن فعل هذا به قيل له : هذا الذي فعل هذا ليس بعاصر ، فإنه داخل في قَدْرِ الله كسائر الخلق ، وقائل هذا القول متناقض لا يثبت على حال .

## فصل

وأما قول القائل : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، واحتججه بالحديث المذكور .

فيقال له : لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢٠)

وقال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

(٢٠) الآية ١٠ من سورة النساء .

بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا \* وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا  
 وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢١﴾  
 ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة ، والعبد عليه أن يصدق  
 بهذا وبهذا ، لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، فهو لاء المشركون  
 أرادوا أن يُصَدِّقُوا بالوعد ، ويُكَذِّبُوا بالوعيد .

والحرورية والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعد دون  
 الوعد ، وكلاهما أخطأ ، والذي عليه أهل السنة والجماعة  
 الإيمان بالوعد والوعيد ، فكما أن ما تَوَعَّدَ الله به العبد من  
 العقاب ، قد بين سبحانه أنه بشروط : بألا يتوب ، فإن تاب  
 تاب الله عليه . وبألا يكون له حسنات تمحو ذنوبه ، فإن  
 الحسنات يذهبن السيئات ، وبألا يشاء الله أن يغفر له :  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ﴾ ﴿٢٢﴾ فهكذا الوعد له تفسير وبيان . فَمَنْ قَالَ

(٢١) الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة النساء .

(٢٢) جزء من الآية ٤٨ والآية ١١٦ من سورة النساء .

بلسانه : لا إله إلا الله ، وكذب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين ، وكذلك مَنْ جحد شيئاً مما أنزل الله .

فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول ، ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتدًا كان في النار ، فالسيئات تحبطها التوبة ، والحسنات تحبطها الردة ، ومن كان له حسنات وسيئات فإن الله لا يظلمه ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . والله تعالى قد يتفضل عليه ، ويحسن إليه بمغفرته ورحمته .

ومن مات على الإيمان فإنه لا يخلد في النار ، فكل من الزانى والسارق لا يخلد في النار ، بل لابد أن يدخل الجنة ، فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وهؤلاء المسئول عنهم يسمون : القدرية المباحية المشركين ، وقد جاء في ذمهم من الآثار ما يضيق عنه هذا المكان ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

\* \* \*





## السؤال الثانى

( ٢٧٢ - ٢٩٦ / ٨ )

سُئِلَ شيخ الإسلام ، قَدَّسَ اللهُ روحه ، عن قوم قد خُصُّوا  
بالسعادة ، وقوم قد خُصُّوا بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ،  
والشقى لا يسعد ، وفى الأعمال لا تراد لذاتها ، بل لجلب  
السعادة ، ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال ، فلا  
وجه لإتعاَب النفس فى عمل ، ولا كفها عن ملذوذ ، فإن  
المكتوب فى القدم واقع لا محالة . بينوا ذلك .

فأجاب - رحمه الله :

الحمد لله . .

هذه ( المسألة ) قد أجاب فيها رسول الله ﷺ في غير حديث ، ففي الصحيحين عن عمران بن حصين <sup>(٢٣)</sup> قال : « قيل يا رسول الله ، أَعْلِمَ أهل الجنة مَنْ أهل النار ؟ قال : نعم . قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : كُلُّ مُيسَّرٍ لما خلق له » <sup>(٢٤)</sup> وفي رواية البخارى <sup>(٢٥)</sup> « قلت : يا رسول الله ،

(٢٣) أبو نجيد الخزاعى : عمران بن حصين بن عبيد ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خيبر ، وأرسله عمر إلى البصرة ليفقه أهلها ، وولاه زياد قضاءها ، له في كتب الحديث ١٣٠ حديثًا ، وتوفى بالبصرة سنة ( ٥٢ هـ / ٦٧٢ م ) . [ انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ٨ / ١٢٥ ، وصفة الصفوة ١ / ٢٨٣ ، وطبقات ابن سعد : ٧ / ٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٢٨ ، والأعلام للزركلى ص ٧٠ / ٥ ] .

(٢٤) انظر ( فتح البارى بشرح صحيح البخارى ) : كتاب القدر ، حديث رقم ٦٥٩٦ ص ١١ / ٤٩٩ .

(٢٥) هو أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى ، حبر الإسلام ، حافظ من أئمة أهل الحديث ، صاحب ( الجامع الصحيح ) من أحاديث رسول الله ﷺ ، التى انتقاها البخارى من ٦٠٠ ألف حديث سمعها . ولد فى بخارى ( ١٩٤ هـ / ٨١٠ م ) ، وتوفى فى إحدى قرى سمرقند ( ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ) . [ انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ١٢٢ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٤٧ ، والوفيات ١ / ٤٥٥ ، وطبقات الحنابلة ١ / ٢٧١ - ٢٧٩ ، وتاريخ بغداد ٢ / ٤ - ٣٦ والأعلام للزركلى ٦ / ٣٤ ] .

كل يعمل لما خلق له أو لما يُسرُّ له « رواه مسلم <sup>(٢٦)</sup> في صحيحه عن أبي الأسود الدؤلي <sup>(٢٧)</sup> قال : قال لى عمران بن حصين : رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت : بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم ، قال : فقال : أفلا يكون ظلمًا ؟ قال : ففزع من ذلك فزعًا شديدًا . وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده فلا يُسأل

---

(٢٦) الإمام الحافظ أبو الحسين : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، من أئمة الحديث ، ولد في نيسابور ( ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م ) وتوفي فيها ( ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م ) ، من أشهر مصنفاته ( صحيح مسلم ) به ١٢٠٠٠ حديث كتبها في خمس عشرة سنة . [ انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ١٥٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٢٦ ، واس خلكان ٢ / ٩١ ، والبداية والنهاية ١١ / ٣٣ ، وطبقات الخنابلة ١ / ٣٣٧ والأعلام للزركلي ٧ / ٢٢١ ] .  
(٢٧) هو طالم بن عمرو بن سفيان بن جندل : العالم الأمير الفارس الشاعر الفقيه ، واضع علم النحو ، وأول من نقط المصحف ، ولد بعد الهجرة بعام ( ٦٠٥ م ) وسكن البصرة في خلافة عمر ، وولاه على إمارتها ، ولما قُتل على أكرمه معاوية كذلك ، ومات بالبصرة سنة ٦٩ هـ ( ٦٨٨ م ) . [ انظر في ترجمته : الإصابة ٤٣٢٢ ، ووفيات الأعيان ١ / ٢٤٠ ، وصبح الأعشى ٣ / ١٦١ ، والأعلام للزركلي ص ٢٣٦ / ٣ ] .

عما يفعل وهم يُسألون . فقال لى : يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك <sup>(٢٨)</sup> إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ ، فقالا : يا رسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدْرِ سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال : لا ، بل شيء قضى عليهم ، ومضى فيهم . وتصديق ذلك فى كتاب الله ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ <sup>(٢٩)</sup> <sup>(٣٠)</sup> وروى مسلم فى صحيحه عن زهير <sup>(٣١)</sup> عن أبى الزبير <sup>(٣٢)</sup> عن جابر بن

<sup>(٢٨)</sup> لأحرز عقلك : قال النووى : أى لإمتح عقلك وفهمك ومعرفتك ، والله أعلم .

<sup>(٢٩)</sup> الآيتان ٧ و ٨ من سورة الشمس .

<sup>(٣٠)</sup> الحديث رواه مسلم فى كتاب ( القدر ) باب ( كيفية خلق آدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ) ج ١٠ ص ٩ / ٨ . . وقد راجعت الحديث فصبوت ما كان به هنا من أخطاء فى النقل .

<sup>(٣١)</sup> هو أبو خيثمة : زهير بن حرب بن شداد السامى البغدady : محدث . فى عصره ، ولد فى ( نسا ) سنة ( ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م ) وتوفى فى بغداد ٢٣٢ هـ / ٨٤٩ م . [ انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٨ / ٤٨٢ ، وشذرات هب ٢ / ٨٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٢٢ ، والرسالة المستطرفة ٤٢ والأعلام . ركلى ص ٥١ / ٣ ] .

<sup>(٣٢)</sup> أبو الزبير : محمد بن مسلم ، الأسدى بالولاء ، عالم بالحديث من أهل =

عبد الله<sup>(٣٣)</sup> قال : جاء سراقه بن مالك بن جعشم<sup>(٣٤)</sup> فقال : « يا رسول الله ، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ، فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفَّتْ به الأقلام وجرت المقادير أم فيما يستقبل ؟ قال : لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت المقادير ، قال : ففيم العمل ؟ قال زهير : ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألت : عما قال ، فقال : اعملوا فكلُّ

---

= مكة ، اختلف المحدثون في توثيقه ، توفي سنة ( ١٢٦هـ / ٧٤٣م ) . [ انظر في ترجمته : العقد الثمين ( ٢ / ٣٥٤ ) ، وترجمة الأصبهاني في الأعلام ٢٦٤ / ٤ والأعلام للزركلي ص ٩٧ / ٧ ] .

(٣٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : من الصحابة الغزاة ، غزا تسع عشرة غزوة ، ومن أفقههم بحديث رسول الله ﷺ ، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً . ولد سنة ( ١٦ ق . هـ . / ٦٠٧م ) وتوفي سنة ( ٧٨هـ / ٦٩٧م ) . [ انظر ترجمته في : الإصابة ١ / ٢١٣ ، وتهذيب الأسماء ١ / ١٤٢ ، وذيل المذيل ٢٢ والأعلام للزركلي ص ١٠٤ / ٢ ] .

(٣٤) هو أبو سفيان : سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني : من الصحابة الشعراء ، أخرجه أبو سفيان ليقضى أثر رسول الله ﷺ يوم الهجرة ، أسلم بعد غزوة الطائف سنة ( ٨هـ ) وتوفي سنة ( ٢٤هـ / ٦٤٥م ) وله في كتب الحديث ١٩ حديثاً . [ انظر ترجمته في : الإصابة ٣١٠٩ ، وثمار القلوب ٩٣ ، والتاج ٦ / ٣٨٠ والأعلام للزركلي ص ٣ / ٠ ] .

ميسر « وفي لفظ آخر : » فقال رسول الله ﷺ : كل عامل ميسر بعمله « (٣٥) .

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب (٣٦) رضي الله عنه ، قال : « كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ ، ففعد وقعدنا حوله ، ومعه مخرصة (٣٧) فنكس فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، إلا

(٣٥) سبق تخريجه .

(٣٦) هو أبو الحسن : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي : ابن عم النبي ﷺ وصهره ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، الخطيب البارع البطل الشجاع ، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة ، وكان قدره حين تولى الخلافة أن يواجه فتنة مقتل عثمان ، وخروج معاوية عن طاعته ، وخروج الخوارج الذين قتله أحدهم ، عاش قرابة ٦٣ سنة ما بين ( ٢٣ ق . هـ . / ٦٠٠ م ) و ( ٤٠ هـ / ٦٦١ م ) . وله في كتب الحديث ٥٨٦ حديثًا . [ انظر ترجمته في : الطبري ٨٣/ ٦ ، وصفة الصفوة ( ١١٨/ ١ ) ، وحلية الأولياء ٦١/ ١ ، ومنهاج السنة ٢/ ٣ وما بعدها ، ثم ٢/ ٤ إلى آخر الكتاب ، والإصابة ٥٦٩٠ والأعلام الزركلي ص ٢٩٥/ ٤ ] .

(٣٧) هي عصا أو قضيب يمسكه الرئيس ليتوكأ عليه ويدفع به عنه ويشير به لما يريد ، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالبًا للاتكاء عليها : ( الفتح - ص ١١/ ٥٠٥ ) .

وقد كُتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يا رسول الله ،  
أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، من كان من أهل السعادة  
فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة  
فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة . فقال : اعملوا ، فكل  
ميسر ، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما  
أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة . ثم قرأ  
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيْسِرُهُ  
لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \*  
فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ <sup>(٣٨)</sup> وفي رواية البخارى : « أفلا  
نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة  
سيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة  
سيصير إلى عمل أهل الشقاوة . وقال : أما عمل أهل  
السعادة » الحديث .

وفي رواية فى الصحيحين عن على قال : « كان رسول  
الله ﷺ ذات يوم وفى يده عود ينكت به ، فرفع رأسه  
فقال : ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار ،  
فقالوا : يا رسول الله ، فلمَ نعمل ؟ أو لا نتكل ؟ قال : لا ،  
(٣٨) الآيات من ٥ - ١٠ من سورة الليل . والحديث سبق تخريجه .

اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ  
وَأَتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ فَسَنِيْسِرُهُ  
لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (٣٨) .

فقد أخبر النبي ﷺ ، في هذه الأحاديث وغيرها بما دل  
عليه القرآن أيضًا من أن الله سبحانه وتعالى تقدم علمه وكتابه  
وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة ، كما تقدم  
علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم ، كما في  
الصحيحين عن عبد الله بن مسعود (٣٩) قال : « حدثنا  
رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - : إن أحدكم  
يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقه  
مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا  
بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ،

---

(٣٩) هو أبو عبد الرحمن : عبد الله بن مسعود غافل بن حبيب الهذلي ، من  
أكبر الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن أسبقهم إلى الإسلام ، وأول من جهر  
بقراءة القرآن بمكة . . خدم رسول الله ﷺ وصحبه في حله وترحاله ، قيل  
فيه إنه وعاء مليء علمًا ، وشهدوا له بالفضل والعقل . له في كتب الحديث  
٨٤٨ حديثًا ، وتوفي بالمدينة سنة ( ٣٢ هـ / ٦٥٣ م ) . [ انظر ترجمته في :  
الإصابة ٤٩٥٥ ، وصفة الصفوة ١٥٤ / ٢ ، وحلية الأولياء ١ / ١٢٤  
والأعلام للزركلي ص ٤ / ١٣٧ ] .



ثم ينفخ فيه الروح ، هو الذى لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »<sup>(٤٠)</sup>  
 وفى الصحيحين عن أنس بن مالك<sup>(٤١)</sup> ورفع الحديث قال :  
 « إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول : أى رب نطفة ، أى رب علقة ، أى رب مضغة ، فإذا أراد أن يقضى خلقه قال الملك : أى رب ، ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما

---

(٤٠) أخرجه البخارى ( ٢ / ٣٠٨ و ٣٣٢ - ٣٣٣ و ٤ / ٢٥١ ) ، ومسلم ( ٨ / ٤٤ ) ، وأبو داود ( ٤٧٠٨ ) ، والترمذى ( ٢ / ١٩ - ٢٠ ) ، وابن ماجه ( ٧٦ ) ، وأحمد ( ١ / ٣٨٢ - ٤٣٠ ) . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح، وقد ذكره الألبانى فى ( صحيح الجامع الصغير ) برقم ١٥٤٣ ص ١ / ٣٢١ ، وفى ( إرواء الغليل ) برقم ٢١٤٣ ص ٧ / ٢١٦ .  
 (٤١) أبو ثمامة أو أبو حمزة : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجارى الخزرجى الأنصارى ، صاحب رسول الله ﷺ . وخادمه ، روى عنه ٢٢٨٦ حديثاً ، ولد بالمدينة سنة ( ١٠ ق . هـ . / ٦١٢ م ) وتوفى بالبصرة سنة ( ٩٣ هـ / ٧١٢ م ) ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة . [ انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد ٧ / ١٠ ، وتهذيب ابن عساكر ٣ / ١٣٩ ، وصفة الصفوة ١ / ٢٩٨ والأعلام للزركلى ص ٢ / ٢٤ ] .

الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب ذلك في بطن أمه » (٤٢)

وهذا المعنى في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى (٤٣) أيضاً .

والنصوص والآثار في تقدم علم الله وكتابه وقضائه وتقديره الأشياء قبل خلقها ، وأنواعها كثيرة جداً .

وقد بينَّ النبي ﷺ أن ذلك لا ينافى وجود الأعمال التى بها تكون السعادة والشقاوة ، وأن من كان من أهل

(٤٢) رواه أحمد ( ٣ / ١١٦ ) ، ومسلم فى ( كتاب القدر ) حديث رقم ٥ ص ٦ / ٨ باب ( كيفية خلق آدمى فى بطن أمه ) ، ورواه البخارى فى كتاب الحيض ( باب : مخلقة وغير مخلقة ) ، وفى كتاب أحاديث الأنبياء ( باب : خلق آدم وذريته ) ، وفى كتاب القدر ( ١ ) . انظر ( الفتح ) حديث رقم ٣١٨ ص ١ / ٤٩٨ ، وكذا الحديثين رقم ٣٣٣٣ ص ٦ / ٤١٩ ، ورقم ٦٥٩٥ ص ١١ / ٤٨٦ .

(٤٣) هو حذيفة بن أسيد ( الصحابى ) : يقال أمية بن أسيد بن خالد بن الأعور الغفارى أبو سريحة ( مشهور بكنيته ) ، قال الحافظ فى الإصابة ١٦٣٩ ص ١ / ٣٣٢ : شهد الحديبية وذكر فىمن بايع تحت الشجرة ثم نزل الكوفة ، وروى أحاديث ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن ، وله عن أبى بكر وأبى ذر وعلى - روى عنه أبو الطفيل ، ومن التابعين الشعبي وغيره ، قال أبو سليمان المؤذن : توفى فصلى عليه زيد بن أرقم ، وقال ابن حبان : مات سنة ٤٢ هـ .

السعادة فإنه يُيسَّر لعمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة ، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل ؛ ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أُمِرَ به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة ، فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون المأمور ويتركون المحذور ، فمن ترك العمل الواجب الذي أُمِرَ به وفعل المحذور ، متكللاً على القدر ، كان من جملة أهل الشقاوة ، الميسرين لعمل أهل الشقاوة .

وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ في غاية السداد والاستقامة ، وهو نظير ما أجاب به في الحديث الذي رواه الترمذى <sup>(٤٤)</sup> « أنه قيل : يا رسول الله ، أرأيت أدوية

(٤٤) أبو عيسى : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى ، نسبة إلى أهل ترمذ ( على نهر جيحون ) : من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، تلميذ البخارى ، وله تصانيف كثيرة أشهرها ( الجامع الكبير ) أو ( صحيح الترمذى ) و ( الشمائل النبوية ) و ( العلل ) في الحديث ، عاش فيما بين ( ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م ) و ( ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ) . [ انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ٩ / ٣٨٧ ، ونكت الهميان ٢٦٤ ، وأنساب السمعاني ٩٥ ، وتذكرة =

تندأوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من  
 قدر الله شيئاً ؟ فقال : هي من قدر الله <sup>(٤٥)</sup> وذلك  
 لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه  
 وكذلك يكتبها ، فإذا كان قد علم أنها تكون بأسباب من  
 عمل وغيره وقضى أنها تكون كذلك وقدر ذلك لم يجوز أن  
 يظن أن تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله  
 أسباباً ، وهذا عام في جميع الحوادث .

مثال ذلك : إذا علم الله وكتب أنه سيولد لهذين ولد ،  
 وجعل الله سبحانه ذلك معلقاً باجتماع الأبوين على النكاح  
 وإنزال الماء المهيئ الذي ينعقد منه الولد ، فلا يجوز أن يكون  
 وجود الولد بدون السبب الذي علّق به وجود الولد ،  
 والأسباب وإن كانت ( نوعين ) معتادة وغريبة :

فالمعتادة : كولادة الآدمي من أبوين ، والغريبة : كولادة  
 الإنسان من أم فقط كما ولد عيسى ، أو من أب فقط كما

= الحفاظ ٢ / ١٨٧ والأعلام للزركلي ص ٦ / ٣٢٢ ] .

(٤٥) رواه ابن ماجه والترمذى وأحمد ، وضعفه الألبانى فى ( التعليقات الرضية  
 على الروضة الندية ) ( ٢ / ٢٢٨ ) . انظر ( ضعيف سنن ابن ماجه ) حديث  
 رقم ٧٤٩ ص ٢٧٨ .

ولدت حواء ، أو من غير أبو ين كما خلق آدم أبو البشر من طين .

فجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لها ، وتقديره إياها ، وقضاؤه بها ، كما تقدم [ ربط ] <sup>(٤٦)</sup> ذلك بالمسيبات ، كذلك أيضًا الأسباب التي بها يخلق النبات من إنزال المطر وغيره من هذا الباب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ <sup>(٤٧)</sup> ، وقال : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ <sup>(٤٨)</sup> وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ أَلْمَاءٍ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ <sup>(٤٩)</sup> وأمثال ذلك . فجميع ذلك مقدر معلوم ، مقضى مكتوب قبل تكوينه ، فمن ظن أن الشيء إذا علم وكتب أنه يكفى ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذى يفعله وسائر الأسباب ، فهو جاهل ضالّ ضلّالاً مبيناً ، من وجهين :

(٤٦) ما بداخل القوسين من وضع المحقق ليستقيم السياق .

(٤٧) جزء من الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

(٤٨) جزء من الآية ٥٧ من سورة الأعراف .

(٤٩) جزء من الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

(أحدهما) : من جهة كونه جعل العلم جهلاً ، فإن العلم يطابق المعلوم ، ويتعلق به على ما هو عليه ، وهو سبحانه قد علم أن المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب ؛ لأن ذلك هو الواقع ، فمن قال : إنه يعلم شيئاً بدون الأسباب ، فقد قال على الله الباطل ، وهو بمنزلة من قال : إن الله يعلم أن هذا الولد ولد بلا أبوين ، وأن هذا النبات نبت بلا ماء ، فإن تعلق العلم بالماضى والمستقبل سواء ، فكما أن من أخبر عن الماضى بعلم الله بوقوعه بدون الأسباب يكون مبطلاً ، فكذلك من أخبر عن المستقبل كقول القائل : إن الله علم أنه خلق آدم من غير طين ، وعلم أنه يتناسل الناس من غير تناكح ، وأنه أنبت الزروع من غير ماء ولا تراب فهو باطل ، فلو قال قائل : إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب ، وأنه قدر ذلك ، أو قال : إنه غفر لآدم بلا توبة ، وأنه علم ذلك ، كان هذا كذباً وبهتاناً ، بخلاف ما إذا قال : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (٥٠) ، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

(٥٠) حزه من الآية ٣٧ من سورة البقرة .

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿٥١﴾ فَإِنَّهُ يَكُونُ صَادِقًا فِي ذَلِكَ . وَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ عِلْمُ مَا يَكُونُ مِنْ آدَمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ .

وكذلك كل ما أخبر به من ( قصص الأنبياء ) فإنه علم أنه أهلك قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وفرعون ، ولوط ، ومدين ، وغيرهم بذنوبهم ، وأنه نجى الأنبياء ومن اتبعهم بإيمانهم وتقواهم ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٥٢) ، وقال : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ﴾ (٥٣) ، وقال : ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ (٥٤) ، وقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ (٥٥) .

(٥١) جزء من الآية ١٢١ من سورة طه .

(٥٢) الآية ١٦٥ من سورة الأعراف .

(٥٣) جزء من الآية ٤٠ من سورة العنكبوت .

(٥٤) جزء من الآية ١٤٦ من سورة الأنعام .

(٥٥) جزء من الآية ٢١ من سورة غافر .

وقال : ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا  
 ٥٦﴾ ، وقال : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ٥٧ ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ  
 إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ٥٨ ،  
 وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا  
 حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٩ . وقال : ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ  
 إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ٦٠ . وقال : ﴿ إِلَّا إِلَهُ لُوطٍ  
 نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ  
 شَكَرَ ﴾ ٦١ . وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ

(٥٦) جزء من الآية ٦ من سورة الأنعام .

(٥٧) الآيتان ٥٢ و ٥٣ من سورة النمل .

(٥٨) الآية ١٠٢ من سورة هود .

(٥٩) الآية ٥٦ من سورة يوسف .

(٦٠) الآية ٣ من سورة الإسراء .

(٦١) جزء من الآية ٣٤ والآية ٣٥ من سورة القمر .



عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴿٦٢﴾ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ  
كثير .

وكذلك خبره عما يكون من السعادة والشقاوة  
بالأعمال ، كقوله : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي  
الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ . (٦٣) وقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي  
أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . (٦٤) وقوله : ﴿وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا  
أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ . (٦٥) وقوله : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ  
الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ . (٦٦) وقوله :  
﴿وَجَزَيْنَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ . (٦٧) الآيات .  
وقوله : ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ . (٦٨) ،

(٦٢) جزء من الآية ١٣٧ من سورة الأعراف .

(٦٣) الآية ٢٤ من سورة الحاقة .

(٦٤) الآية ٧٢ من سورة الزخرف .

(٦٥) جزء من الآية ٢١ من سورة الطور .

(٦٦) الآية ١١١ من سورة المؤمنين .

(٦٧) الآية ١٢ من سورة الإنسان .

(٦٨) الآية ٣٦ من سورة المطففين .

وقوله : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ \* وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ \* وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ \* حَتَّى آتَيْنَا الْبَقِيْنَ \* فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ، <sup>(٦٩)</sup> وأمثال هذا في القرآن كثير جدًا .

بين سبحانه فيما يذكره من سعادة الآخرة ، وشقاوتها أن ذلك كان بالأعمال المأمور بها والمنهى عنها ، كما يذكر نحو ذلك فيما يقضيه من العقوبات والمثوبات في الدنيا أيضًا .

( والوجه الثاني ) : أن العلم بأن الشيء سيكون والخبر عنه بذلك وكتابة ذلك لا يوجب استغناء ذلك عما به يكون من الأسباب التي لا يتم إلا بها ، كالفاعل وقدرته ومشيئته ، فإن اعتقاد هذا غاية في الجهل ، إذ هذا العلم ليس موجبًا بنفسه لوجود المعلوم باتفاق العلماء ، بل هو مطابق له على ما هو عليه لا يكسبه صفة ولا يكتسب منه صفة بمنزلة علمنا بالأمور التي [ قبلنا ] <sup>(٧٠)</sup> كالموجودات التي كانت قبل وجودنا ، مثل علمنا بالله وأسمائه وصفاته ، فإن هذا العلم

(٦٩) الآيات ٤٢ - ٤٨ من سورة المدثر .

(٧٠) ما بداخل القوسين من وضع المحقق ليستقيم السياق .

ليس مؤثراً في وجود المعلوم باتفاق العلماء ، وإن كان من علومنا ما يكون له تأثير في وجود المعلوم : كعلمنا بما يدعونا إلى الفعل ويعرفنا صفته وقدره ، فإن الأفعال الاختيارية لا تصدر إلا ممن له شعور وعلم ؛ إذ الإرادة مشروطة بوجود العلم ، وهذا التفصيل الموجود في علمنا بحيث ينقسم إلى علم فعلي له تأثير في المعلوم ، وعلم انفعالي لا تأثير له في وجود المعلوم - هو فصل الخطاب في العلم .

فإن من الناس من يقول : ( العلم ) صفة انفعالية لا تأثير له في المعلوم ، كما يقول طوائف من أهل الكلام ، ومنهم من يقول بل هو صفة فعلية له تأثير في المعلوم ، كما يقوله طوائف من أهل الفلسفة والكلام .

والصواب أنه ( نوعان ) كما بيناه - وهكذا علم الرب تبارك وتعالى ، فإن علمه بنفسه سبحانه لا تأثير له في وجود المعلوم ، وأما علمه بمخلوقاته التي خلقها بمشيئته وإرادته فهو مما له تأثير في وجود معلوماته ، والقول في الكلام والكتاب كالقول في العلم : فإنه سبحانه وتعالى إذا خلق الشيء خلقه بعلمه وقدرته ومشيئته ؛ ولذلك كان الخلق مستلزماً للعلم ودليلاً عليه ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللطيفُ الخبيرُ<sup>(٧١)</sup> . وأما إذا أخبر بما سيكون قبل أن يكون فعلمه وخبره حينئذ ليس هو المؤثر في وجوده لعلمه وخبره به بعد وجوده لثلاثة أوجه :

( أحدها ) : أن العلم والخبر عن المستقبل كالعلم والخبر عن الماضي .

( الثانى ) : أن العلم المؤثر هو المستلزم للإرادة المستلزمة للخلق ، ليس هو ما يستلزم الخبر ، وقد بينا الفرق بين العلم العملى والعلم الخبرى .

( الثالث ) : أنه لو قدر أن العلم والخبر بما سيكون له تأثير فى وجود المعلوم المخبر به فلا ريب أنه لابد مع ذلك من القدرة والمشيئة ، فلا يكون مجرد العلم موجباً له بدون القدرة والإرادة . فتبين أن العلم والخبر والكتاب لا يوجب الاكتفاء بذلك عن الفاعل القادر المريد ، مما يدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويخبر بما سيكون من مفعولات الرب ، كما يعلم أنه سيقم القيامة ويخبر بذلك ، ومع ذلك

---

(٧١) الآية ١٤ من سورة الملك .

فمعلوم أن هذا العلم والخبر لا يوجب وقوع المعلوم المخبر به بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً له .

إذا تبين ذلك فقول السائل : السعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، كلام صحيح : أى مَنْ قَدَّرَ الله أن يكون سعيداً ، يكون سعيداً لكن بالأعمال التي جعله يسعد بها ، والشقى لا يكون شقيماً إلا بالأعمال التي جعله يشقى بها ، التي من جملتها الاتكال على القدر ، وترك الأعمال الواجبة .

وأما قوله : والأعمال لا تراد لذاتها ، بل لجلب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال ، فيقال له : السابق نفس السعادة والشقاوة ، أو تقدير السعادة والشقاوة علماً وقضاءً وكتاباً ، هذا موضع يشتبه ويغلط فيه كثير من الناس ، حيث لا يميزون بين ثبوت الشيء في العلم والتقدير ، وبين ثبوته في الوجود والتحقيق .

فإن الأول هو العلم به والخبر عنه ، وكتابته ، وليس شيء من ذلك داخلياً في ذاته ولا في صفاته القائمة به ؛ ولهذا يغلط كثير من الناس في قول ، النبي ﷺ ، في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة <sup>(٧٢)</sup> قال : « قلت : يا رسول الله ، متى

(٧٢) هو ميسرة الفجر ، أو ميسرة الفخر ( كما في حلية الأولياء :

كنت نبياً ؟ - وفي رواية - متى كُتبت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد»<sup>(٧٣)</sup> . فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ ، وهذا جهل ، فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره ، وقد قال له : ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٧٤)</sup> ، وقال : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(٧٥)</sup> . وفي الصحيحين : « إن الملك قال

١٢٢/٧ ) . وهو عبد الله بن أبي الجعداء التميمي ، ويقال : الكناي ، ويقال : العبدى . صحابى ذكره البخارى والبغوى وابن السكن وغيرهم فى الصحابة ، وأخرجوا من طريق بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر ، قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ . فذكره . . قال الحافظ فى ( الإصابة ) رقم ٨٢٧٧ ص ٦ / ١٤٩ : وهذا سند قوى ، لكن اختلف فيه على بديل بن ميسرة ، فرواه منصور بن سعيد عنه هكذا ، وخالفه جماء بن زيد فرواه عن بديل عن عبد الله بن شقيق . لم يذكر ميسرة . وقد قيل : إنه عبد الله بن أبي الجعداء وميسرة لقب .

(٧٣) أخرجه أحمد فى مسنده ( ٥ / ٥٩ ) ، وابن أبى عاصم فى ( السنة ) رقم ٤١٠ ، وأبو نعيم فى ( الحلية ) ( ٩ / ٥٣ ) ، وأخرجه البخارى فى ( التاريخ ) ( ٤ / ١ / ٣٧٤ ) ، وابن سعد ( ٧ / ٦٠ ) . وصححه الألبانى فى ( سلسلة الأحاديث الصحيحة ) رقم ١٨٥٦ ص ٤ / ٤٧١ . وقد رواه الترمذى عن أبى هريرة : حديث رقم ٣٨٧٠ ، وهو فى ( صحيح سنن ابن ماجه ) للألبانى برقم ٢٨٥٦ ص ٣ / ١٨٩ .

(٧٤) جزء من الآية ٣ من سورة يوسف .

(٧٥) الآية ٧ من سورة الضحى .

له : - حين جاءه - اقرأ فقال : لست بقارئ - ثلاث مرات - ﴿٧٦﴾ .

ومن قال : إن النبي ، ﷺ ، كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين ، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم ، وقبل نفخ الروح فيه ، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده ، وقبل نفخ الروح فيه ، كما في حديث العرياض بن سارية<sup>(٧٧)</sup> الذي رواه أحمد<sup>(٧٨)</sup> وغيره

---

(٧٦) حديث صحيح أخرجه البخارى ( ٢٨/ ١ - ٢٣ ) ، ومسلم ( ٩٧/ ١ - ٩٨ ) من حديث عائشة رضی الله عنها .

(٧٧) العرياض بن سارية السلمى : أبو نجيح : صحابى مشهور من أهل الصفة ، لعله رابع من أسلم من الرجال ، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى : ﴿ ولا على الدين إذا ما أتوك لتحملهم ﴾ . . قال محمد بن عوف : كان قديم الإسلام جداً ، وقال خليفة : مات فى فتنة ابن الزبير ، وقال أبو مسهر وغير واحد : مات بعد ذلك سنة خمس وسبعين . [ انظر ترجمته فى : الإصابة ٥٤٩٣ ص ٤ / ٢٣٤ ، وتهذيب التهذيب ٣٤٠ ص ٧ / ١٧٤ ] .

(٧٨) أبو عبد الله : أحمد بن محمد بن حنبل ، الإمام المحدث الفقيه صاحب الشهرة ، إليه ينسب المذهب الحنبلى ، كان حوَّالاً فى طلب العلم ، له ( المسند ) المشتمل على ثلاثين ألف حديث ، خالف المعتزلة فتعرض للامتحان والتعذيب ، ولد فى بغداد ( ١٦٤هـ / ٧٨٠م ) وتوفى فيها ( ٢٤١هـ / ٨٥٥م ) . [ انظر فى ترجمته : ابن عساكر ٢ / ٢٨ ، وحلية =

عن النبي ﷺ أنه قال : « إني عبد الله وخاتم النبيين » (٧٩) .  
وفي رواية : « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين ، وإن آدم  
لمجندل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أئى إبراهيم ،  
وبشرى عيسى ، ورؤيا أمى ، رأت حين ولدتنى أنه خرج  
منها نور أضاءت له قصور الشام » .

وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه : « كنت نبياً  
وآدم بين الماء والطين » . « وآدم لا ماء ولا طين » ويجعلون  
ذلك وجوده بعينه ، وآدم لم يكن بين الماء والطين ، بل الماء  
بعض الطين لا مقابله .

وإذا كان كذلك ، فإن قال : السابق نفس السعادة  
والشقاوة فقد كذب ، فإن السعادة إنما تكون بعد وجود  
الشخص الذى هو السعيد ، وكذلك الشقاوة ، لا تكون إلا  
أولياء ٩ / ١٦١ ، وصفة الصفوة ٢ / ١٩٠ ، وابن خلكان ١ / ١٧ ، وتاريخ  
غداد ٤ / ٤١٢ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٣٢٥ - ٣٤٣ والأعلام للزركلى  
ص ٢٠٣ / ١ ] .

(٧٩) رواه أحمد والطبرانى والحاكم وأبو نعيم فى ( الحلية ) ، والبيهقى فى  
( شعب الإيمان ) عن عرابض بن سارية ، وضعفه الألبانى فى ( ضعيف الجامع  
الصغير ) رقم ٢٠٩٠ ص ١ / ٢٢٣ ، ونوه إلى تضعيفه له فى ( سلسلة  
الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ فى الأمة ) رقم ٢٠٨٥ .



بعد وجود الشقى ، كما أن العمل والرزق لا يكون إلا بعد وجود العامل ، ولا يصير رزقاً إلا بعد وجود المرتزق ، وإنما السابق هو العلم بذلك وتقديره لا نفسه وعيه ، وإذا كان كذلك فالعمل - أيضاً - سابق كسبى السعادة والشقاوة ، وكلاهما معلوم مُقَدَّرٌ ، وهما متأخران فى الوجود ، والله سبحانه علم وقدر أن هذا يعمل كذا فيسعد به ، وهذا يعمل كذا فيشقى به ، وهو يعلم أن هذا العمل الصالح يجلب السعادة ، كما يعلم سائر الأسباب والمسببات ، كما أن هذا يأكل السم فيموت ، وأن هذا يأكل الطعام فيشبع ، ويشرب الشراب فيروى ، وظهر فساد قول السائل : فلا وجه لإتعايب النفس فى عمل ، ولا لكفها عن ملذوذات ، والمكتوب فى القَدَمِ واقع لا محالة .

وذلك أن المكتوب فى القَدَمِ هو سعادة السعيد لما يُسرُّ له من العمل الصالح ، وشقاوة الشقى لما يسر له من العمل السيئ ، ليس المكتوب أحدهما دون الآخر . فما أُمِرَ به العبد من عمل فيه تعب أو امتناع عن شهوة هو من الأسباب التى تُنَالُ بها السعادة . والمقدر المكتوب هو السعادة والعمل الذى به ينال السعادة ، وإذا ترك العبد ما أُمِرَ به متكللاً على الكتاب

كان ذلك من المكتوب المعدور الذى يصير به شقيًا ، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول : أنا لا آكل ولا أشرب ، فإن كان الله قضى بالشبع والرى حصل ، وإلا لم يحصل ، أو يقول لا أجامع امرأتى فإن كان الله قضى لى بولد فإنه يكون .

وكذلك من غلط فترك الدعاء ، أو ترك الاستعانة والتوكل ، ظانًا أن ذلك من مقامات الخاصة ناظرًا إلى القدر ، فكل هؤلاء جاهلون ضالون ، ويشهد لهذا ما رواه مسلم فى صحيحه عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وفى كُلِّ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّرَ الله وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » (٨٠) .

فأمره بالحرص على ما ينفعه ، والاستعانة بالله ، ونهاه عن العجز الذى هو الاتكال على القَدَر ، ثم أمره إذا أصابه شئ ألا ييأس على ما فاتته ، بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمر لله ،

---

(٨٠) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة ، وَحَسَنُهُ الألبانى فى ( صحيح الجامع الصغير ) حديث رقم ٦٦٥٠ ص ١١٢٩/ ٢ .

فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك ، كما قال بعض العقلاء :  
الأمر (أمران) أمر فيه حيلة ، وأمر لا حيلة فيه ، فما فيه  
حيلة لا يعجز عنه ، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه .

وفي سنن أبي داود<sup>(٨١)</sup> أن رجلين اختصما إلى  
النبي ﷺ ، فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه :  
حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقال النبي ﷺ : « إن الله يلوم  
على العجز ، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل :  
حسبي الله ونعم الوكيل »<sup>(٨٢)</sup> . وفي الحديث الآخر :  
« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من  
أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني »<sup>(٨٣)</sup> ورواه ابن

---

(٨١) هو أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي  
السجستاني ( ٢٠٢هـ / ٨١٧م - ٢٧٥هـ / ٨٨٩م ) من أهل الحديث ، له  
( السنن ) يحتوي على ٤٨٠٠ حديث متقاة من أصل ٥٠٠٠٠ حديث .  
[ انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ١٥٢ ، وطبقات الخبابة ١١٨ ،  
وتهذيب ابن عساكر ٦ / ٢٤٤ ، وتاريخ بغداد ٩ / ٥٥ ، وابن خلكان  
١ / ٢١٤ والأعلام للزركلي ص ٣ / ١٢٢ ] .

(٨٢) رواه أبو داود عن عوف بن مالك : ( كتاب الأقضية ) حديث رقم  
٣٦٢٧ ص ٣ / ٣١٣ ، والحديث صحيح أورده الألباني في ( صحيح الكلم  
الطيب ) .

(٨٣) رواه الترمذي وابن ماجة كما قال ، وصغفه الألباني في تحريجه لأحاديث =

ماجه<sup>(٨٤)</sup> والترمذى<sup>(٨٥)</sup> وقال : حديث حسن .

وعن شداد بن أوس<sup>(٨٥)</sup> قال : قال رسول الله ﷺ  
« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من إتبع  
نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل » .<sup>(٨٦)</sup> ومن الناس من  
يصحفه فيقول الفاجر وإنما هو العاجز في مقابلة الكيس ، كما

= (مشكاة المصابيح) للتبريزي ص ٣/ ١٤٥٤ كتاب (الرقاق) باب  
(استحباب المال والعمر للطاعة) حديث رقم ٥٢٨٩ .

(٨٤) هو أبو عبد الله ابن ماجه : محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، من أئمة  
علم الحديث ، صاحب (سنن ابن ماجه) أحد الكتب الستة المعتمدة ، وهو  
من أهل قزوين ، ورحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر الحجاز والرى في  
طلب الحديث . عاش فيما بين (٤٠٩ هـ / ٨٢٤ م) و(٢٧٣ هـ / ٨٨٧ م) .  
[ انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ١ / ٤٨٤ ، وتهذيب التهذيب ٩ / ٥٣٠ ،  
وتذكرة الحفاظ ٢ / ١٨٩ والأعلام للزركلى ص ٧ / ١٤٤ ] .  
(٨٥) سبقت ترجمته .

(٨٦) أبو يعلى : شداد بن أوس بن ثاث الخزرجي الأنصاري : من الصحابة  
الأمراء الحكماء ، ولاه عمر إمارة حمص ، واعتزل لما قتل عثمان وتفرغ  
للعادة ، له في كتب الحديث ٥٠ حديثاً ، وقال أبو الدرداء فيه : لكل أمة  
فقيه ، وفقية هذه الأمة : شداد بن أوس . توفي بالقدس (٥٨ هـ / ٦٧٧ م)  
عن ٧٥ سنة ( انظر ترجمته في : الإصابة ٣٨٤٢ ، وتهذيب التهذيب  
٤ / ٣١٥ ، وصفة الصفوة ١ / ٢٩٦ ، وحلية الأولياء ١ / ٢٦٤ والأعلام  
للزركلى ٣ / ١٥٨ ] .

في الحديث الآخر : « كل شيء بِقَدْرِ حتى العجز والكيس » (٨٧) .

وهنا سؤال يعرض لكثير من الناس وهو : أنه إذا كان المكتوب واقعًا لا محالة ، فلو لم يأت العبد بالعمل هل كان المكتوب يتغير ؟ وهذا السؤال يقال في مسألة المقتول - يقال لو لم يقتل هل كان يموت ؟ ونحو ذلك .

فيقال هذا لو لم يعمل عملاً صالحًا لما كان سعيدًا ، ولو لم يعمل عملاً سيئًا لما كان شقيًا ، وهذا كما يقال : إن الله يعلم ما كان وما يكون ، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون ، فإن هذا من باب العلم والخبر بما لا يكون لو كان

---

(٨٧) رواه مالك ( ٩٣/ ٣ ) وعنه مسلم في صحيحه ( ٥١/ ٨ ) والبخاري في ( أفعال العباد ) ص ٧٣ ، وإن لم يورده في ( الجامع الصحيح ) ، وأحمد في ( المسند ) ( ١١٠/ ٢ ) : كلهم عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس الجماني أنه قال : أدركت ناسًا من أصحاب الرسول ﷺ يقولون : كل شيء بقدر ، نقل الألباني قول طاووس : سمعت عبد الله بن عمر يقول : .. فذكره مرفوعًا .

وقد صححه الألباني في ( سلسلة الأحاديث الصحيحة ) برقم ٨٦١ ص ٤٤١/ ٢ .

كيف يكون ، كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٨٨)</sup> ، وقوله : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾<sup>(٨٩)</sup> ، وقوله : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾<sup>(٩٠)</sup> ، وقوله : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾<sup>(٩١)</sup> . وأمثال ذلك . كما روى أنه يُقال للبعد في قبره حين يفتح له باب إلى الجنة وإلى النار ، ويقال : هذا منزلك ، ولو عملت كذا وكذا أبدلك الله به منزلاً آخر . وكذلك يقال هذا لو لم يقتله هذا لم يميت ، بل كان يعيش إلا أن يقدر له سبب آخر يموت به ، واللازم في هذه الجملة خلاف الواقع المعلوم والمقدور ، والتقدير للممتنع قد يلزمه حكم ممتنع ، ولا محذور في ذلك .

ومما يشبه هذه المسألة أن النبي ﷺ ، خرج يوم بدر فأخبر أصحابه بمصارع المشركين فقال : « هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان »<sup>(٩٢)</sup> ، ثم إنه دخل العريش ،

(٨٨) جزء من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(٨٩) جزء من الآية ٢٨ من سورة الأنعام .

(٩٠) جزء من الآية ٤٧ من سورة التوبة .

(٩١) جزء من الآية ٢٣ من سورة الأنفال .

(٩٢) رواه مسلم في ( كتاب الجهاد ) باب ( في غزوة بدر ) ( ٥ / ١٧٠ ) =

وجعل يجتهد في الدعاء ، ويقول « اللهم أنجز لى ما وعدتنى »<sup>(٩٣)</sup> ؛ وذلك لأن علمه بالنصر ، لا يمنع أن يفعل السبب الذى به يُنصَر ، وهو الاستعانة بالله .

وقد غلط بعض الناس هنا وظن أن الدعاء الذى علم وقوع مضمونه - كالدعاء الذى فى آخر سورة البقرة - لا يشرع إلا عبادة محضة ، وهذا كقول بعضهم : إن الدعاء ليس هو إلا عبادة محضة ؛ لأن المقدور كائن - دعا أو لم يدع .

فيقال له : إذا كان الله قد جعل الدعاء سبباً لنيل المطلوب المقدر فكيف يقع بدون الدعاء ؟ وهو نظير قولهم : أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب ؟

ومما يوضح [ ذلك ]<sup>(٩٤)</sup> أن الله قد علم وكتب أنه يخلق الخلق ويرزقهم ويميتهم ويحييهم ، فهل يجوز أن يظن أن تَقْدَمَ

= من حديث أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، ورواه أحمد ( ٢٦/ ١ ) و٣/ ٢١٩ - ٢٥٨ ) ومثله عند أبى داود والنسائى .

(٩٣) حديث صحيح أخرجه مسلم فى ( كتاب الجهاد ) باب ( فى الإمداد بالملائكة وفداء الأسارى وتحليل الغنيمة ) ( ٥ / ١٥٦ - ١٥٧ ) ، ورواه أحمد ( ٢٠٨ و ٢٢١ ) من حديث عمر بن الخطاب .

(٩٤) ما بين القوسين من إضافة المحقق .

العلم والكتاب مُغْنِي لهذه الكائنات عن خلقه وقدرته ومشيتته ، فكَذَلِكَ علم الله بما يكون من أفعال العباد ، وأنهم يسعدون بها ، ويشقون ، كما يعلم - مثلاً - أن الرجل يمرض أو يموت بأكله السم ، أو جرحه نفسه ، ونحو ذلك .

وهذا الذى ذكرناه مذهب سلف الأمة وأئمتها ، وجمهور ( الطوائف ) من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ، وإنما نازع فى ذلك غلاة القدرية ، وظنوا أن تقدم العلم يمنع الأمر والنهى ، وصاروا فريقين :

( فريق ) أقروا بالأمر والنهى والثواب والعقاب ، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب ، وهؤلاء نبغوا فى أواخر عصر الصحابة ، فلما سمع الصحابة بدعهم تبرءوا منهم كما تبرءوا منهم ، ورد عليهم عبد الله بن عمر<sup>(٩٥)</sup> ، وعبد الله بن

(٩٥) أبو عبد الرحمن : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى : صحابى جليل ، نشأ فى الإسلام ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وكان يماثله فى الفضل والشرف ، ولد بمكة ( ١٠ ق . هـ . ٦١٣ م ) وتسوفى فيها ( ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ) ، له فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً . [ انظر ترجمته فى : الإصابة ٤٨٢٥ ، وابن خلكان ١ / ٢٤٦ ، وتهذيب الأسماء ١ / ٢٧٨ ، وطبقات ابن سعد ٤ / ١٠٥ - ١٣٨ ، وحلية الأولياء ١ / ٢٩٢ ، وصفة الصفوة ١ / ٢٢٨ والأعلام للزركلى ص ٤ / ١٠٨ ] .



عباس<sup>(٩٦)</sup> ، وجابر بن عبد الله<sup>(٩٧)</sup> ، ووائل بن الأسقع<sup>(٩٨)</sup>  
وغيرهم ، وقد نص ( الأئمة ) كمالك<sup>(٩٩)</sup> ، والشافعي<sup>(١٠٠)</sup> ،

(٩٦) أبو العباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، حبر  
الأمة وترجمان القرآن ، لارم رسول الله ، ﷺ ، فروى عنه الأحاديث  
الصحيحة التي بلغت ١٦٦٠ حديثاً في الصحيحين وغيرهما . . ولد بمكة ( ٣  
ق . هـ . / ٦١٩ م ) وتوفي بالطائف ( ٦٨ هـ / ٦٨٧ م ) . [ انظر ترجمته في :  
الإصابة ٤٧٧٢ ، وصفة الصفوة ٣١٤/ ١ ، وحلية الأولياء ٣١٤/ ١  
والأعلام للزركلي ص ٩٥/ ٤ ] .

(٩٧) سبقت ترجمته .

(٩٨) وائل بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل ، الليثي الكنتاني ،  
صحابي من اهل الصفة ، شهد مع النبي ، ﷺ ، غزوة تبوك ،  
وشهد فتح دمشق ، وهو آخر الصحابة موتاً فيها ، عمر طويلاً ، حيث ولد  
على الأرجح سنة ( ٢٢ ق . هـ . / ٦٠١ م ) وتوفي سنة ( ٨٣ هـ / ٧٠٢ م ) .  
[ انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب ١١/ ١٠١ ، والإصابة ٩٠٨٩ ،  
والاستيعاب بهامشها ٣/ ٦٠٦ ، وصفة الصفوة ١/ ٢٧٩ ، وحلية الأولياء  
٢/ ٢١ والأعلام للزركلي ص ١٠٧/ ٨ ] .

(٩٩) أبو عبد الله : مالك بن أنس بن مالك الأصبغي الحميري . . أحد  
الأئمة الأربعة الأعلام ، صاحب ( الموطأ ) الذي وضعه لما سألته المنصور أن  
يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به ، كان مشهوداً له بالدين والصلابة ،  
ولد ومات بالمدينة ( ٩٣ هـ / ٧١٢ م - ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م ) . [ انظر ترجمته في :  
الوفيات ١/ ٤٣٩ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥ ، وصفة الصفوة ٢/ ٩٩ ،  
وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦ والأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٧ ] .

(١٠٠) أبو عبد الله : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي =

وَأُحْمَدُ . على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله  
تقديم .

(و) الفريق الثاني ) : من يقر بتقدم علم الله وكتابه ، لكن  
يرعه أن ذلك يفضي عن الأمر والنهي والعمل ، وأنه لا يحتاج  
إلى العمل ، بل من قضى له بالسعادة دخل الجنة ، بلا عمل  
أصلاً ، ومن قضى عليه بالشقاوة شقى بلا عمل ، فهؤلاء  
ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات ، وإنما يقوله  
كثير من جهال الناس . وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل  
سيلاً ، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي والحلال  
والحرام والوعد والوعيد ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى  
كثير . وهؤلاء هم الذين سأل السائل عن مقالاتهم .

القرشي مطبوع ، أحد الأئمة الأربعة الأعلام ، ولد في عزرة  
( ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ) وبشاً في مكة ، ورار بعدد مرتين قبل التوجه إلى مصر  
حيث تولى فيها ( ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م ) ، اشتهر بالورع وسعة العلم وحدة  
تدكاه . من أشهر مؤلفاته ( الأم ) في الفقه [ انظر ترجمته في : تهذيب  
التهذيب ٩ / ٢٥١ ، والوفيات ١ / ٤٤٧ ، وصفة الصعوة ٢ / ١٤٠ ، وحلية  
الأولياء ٩ / ٦٣ ، وطققات الشافعية ١ / ١٨٥ والأعلام للزركلي ٦ / ٢٦ ] .  
( ١٠١ ) سفت ترجمته .

وأما ( جمهور القدرية ) فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم ، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد ، وإرادة الكائنات ، وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون ليس للعبد قدرة ولا إرادة حقيقية ولا هو فاعل حقيقة ، وكل هؤلاء مبتدعة ضلال .

وشر من هؤلاء من يجعل خلق الأفعال ، وإرادة الله الكائنات مانعة من الأمر والنهي ، كالمشركين الذين قالوا : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١٠٢)</sup> هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى ، ومضمون قولهم : تعطيل جميع ما جاءت به الرسل كلهم من الأمر والنهي .

ثم قولهم متناقض ، معلوم الفساد بالضرورة ، لا يمكن أن يحيا معه بنو آدم لاستلزامه فساد العباد ، فإنه إذا لم يكن على العباد أمر ونهى كان لكل أحد أن يفعل ما يهواه ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾<sup>(١٠٣)</sup> فإذا قيل : إنه يمكن كل أحد مما يهواه من

(١٠٢) جزء من الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

(١٠٣) جزء من الآية ٧١ من سورة المؤمنون .

قتل النفوس وفعل الفواحش وأخذ الأموال وغير ذلك ، كان ذلك غاية الفساد ؛ ولهذا لا تعيش أمة من بنى آدم إلا بنوع من الشريعة التى فيها أمر ونهى ، ولو كانت بوضع بعض الملوك مع ما فيها من فساد من وجوه أخرى .

فإن قيل : هذا الذى ذكرتموه يبين أن تقدم علم الله وكتابه بالسعادة والشقاوة وغير ذلك من الأمور لا يمنع توقف ذلك على الأعمال والأسباب التى جعل الله بها تلك الأمور ، وذلك يبين أن ذلك لا يمنع أن يكون العبد عاملاً للعمل الصالح الذى به يسعده الله ، وأن يكون قادراً على ذلك ، مريداً له ، وإن كان ذلك كله بتيسير الله للعبد - وإن تنازع الناس فى تسمية ذلك جبراً - لكن هل يكون العبد قادراً على غير الفعل الذى فعله الذى سبق به العلم والكتاب ؟ فهذا مما تنازع فيه الناس ، كما تنازعوا فى أن الاستطاعة هل يجب أن تكون مع الفعل أو يجب أن تتقدمه ؟ فمن قال من أهل الإثبات : إن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، يقول:العبد لا يستطيع غير ما يفعله ، وهو ما تقدم به العلم والكتاب . ومن قال : إن الاستطاعة قد تتقدم الفعل ، وقد توجد دون الفعل ، فإنه يقول : إنه يكون مستطيعاً لما لم يفعله ، ولما لم يكتب أنه لا يفعله .

وفصل الخطاب ، أن ( الاستطاعة ) جاءت في كتاب الله على نوعين :

الاستطاعة المشترطة للفعل ، وهى مناط الأمر والنهى ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ <sup>(١٠٤)</sup> ، وقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ <sup>(١٠٥)</sup> ، وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ <sup>(١٠٦)</sup> الآية . وقوله : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ﴾ <sup>(١٠٧)</sup> ، وقوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ <sup>(١٠٨)</sup> . وقول النبى ﷺ لعمران بن حصين : <sup>(١٠٩)</sup> « صل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » <sup>(١١٠)</sup> . فإن الاستطاعة فى هذه

(١٠٤) جزء من الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

(١٠٥) جزء من الآية ١٦ من سورة التغابن .

(١٠٦) جزء من الآية ٢٥ من سورة النساء .

(١٠٧) جزء من الآية ٤ من سورة المجادلة .

(١٠٨) جزء من الآية ١٨٤ من سورة البقرة .

(١٠٩) سبقت ترجمته .

(١١٠) رواه البخارى قبيل ( كتاب التهجد ) ( ١ / ٢٨٣ ) ، وأخرجه =

النصوص لو كانت لا توجد إلا مع الفعل لوجب ألا يجب الحج إلا على من حج ، ولا يجب صيام شهرين إلا على من صام ، ولا القيام في الصلاة إلا على من قام ، وكان المعنى : على الذين يصومون الشهر طعام مسكين ، والآية إنما أنزلت لما كانوا مخيرين بين الصيام والإطعام في شهر رمضان .

والاستطاعة التي يكون معها الفعل ، قد يقال هي المقترنة بالفعل الموجبة له - وهي النوع الثاني - وقد ذكروا فيها قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾<sup>(١١١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(١١٢)</sup> ، ونحو ذلك قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ وجعلنا

= أبو داود ( ٩٥٢ ) ، والترمذى ( ٢٠٨ / ٢ ) ، وابن ماجه ( ١٢٢٣ ) ، والنسائي ( ٢٤٥ / ١ ) ، والبيهقى ( ٣٠٤ / ٢ و ٣٠٨ ) ، وأحمد ( ٤٣٣ / ٤ ) . وتخرجه في (إرواء الغليل) للألبانى ، حديث رقم ٢٩٩ ص ٢ / ٨ .

(١١١) الآية ١٠١ من سورة الكهف .

(١١٢) جزء من الآية ٢٠ من سورة هود .

مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٣﴾ .

فإن الاستطاعة المنفية هنا - سواء كان نفيها خبراً أو ابتداء - ليست هي الاستطاعة المشروطة في الأمر والنهى ، فإن تلك إذا انتفت انتفى الأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ، والثواب والعقاب ، ومعلوم أن هؤلاء في هذه الحال مأمورون ، منهيون ، موعودون ، متوعدون ، فعلم أن المنفية هنا ليست المشروطة في الأمر والنهى المذكورة في قوله : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿١١٤﴾ .

لكن قد يقال : الاستطاعة هنا كالاستطاعة المنفية في قول الخضر لموسى : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿١١٥﴾ . فإن هذه الاستطاعة المنفية ، لو كان المراد بها مجرد المقارنة في الفاعل والتارك لم يكن فرق بين هؤلاء المذمومين وبين المؤمنين ، ولا بين الخضر وموسى ، فإن كل أحد فعل أو لم يفعل لا تكون المقارنة موجودة قبل فعله ، والقرآن يدل على

(١١٣) الآيتان ٨ و ٩ من سورة يس .

(١١٤) جزء من الآية ١٦ من سورة التغابى .

(١١٥) جزء من الآيات ٦٧ و ٧٢ و ٧٥ من سورة الكهف .

أن هذه الاستطاعة إنما نفيت عن التارك لا عن الفاعل ، فعلم أنها مضادة لما يقوم بالعبد من الموانع التي تصد قلبه عن إرادة الفعل وعمله ، وبكل حال فهذه الاستطاعة منتفية في حق من كتب عليه أنه لا يفعل ، بل وقضى عليه بذلك .

وإذا عرف هذا التقسيم - أن إطلاق القول بأن العبد لا يستطيع غير ما فعل ، ولا يستطيع خلاف المعلوم المقدر ، وإطلاق القول بأن استطاعة الفاعل والتارك سواء ، وأن الفاعل لا يختص عن التارك باستطاعة خاصة [ عرف أن ]<sup>(١١٦)</sup> كلا الإطلاقين خطأ وبدعة .

ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها وجمهور طوائف أهل الكلام على أن الله قادر على ما علم وأخبر أنه لا يكون ، وعلى ما يمتنع صدوره عنه لعدم إرادته ، لا لعدم قدرته عليه ، وإنما خالف في ذلك طوائف من أهل الضلال من الجهمية والقدرية والمتفلسفة الصابئة الذين يزعمون انحصار المقدور في الموجود ، ويحصرون قدرته فيما شاء وعلم وجوده ، دون ما أخبر أنه لا يكون ، كما رجحه النظام<sup>(١١٧)</sup>

(١١٦) ما بين المعقوفتين إضافة من المحقق .

(١١٧) أبو إسحاق النظام : إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري : من أئمة =



والأسوارى<sup>(١١٨)</sup> ، وكما يقوله من زعم أنه ليس من المقدور غير هذا العالم ، ولا في المقدور ما يمكن أن يهدى به الضال ، وقد قال الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿١١٩﴾ مع أنه سبحانه لا يسوى بنانه ، وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ

= المعتزلة ، متبحر في علوم الفلسفة وانفرد فيها بآراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة فسموها ( النظامية ) ، وقد ألقت كتب خاصة في تكفيره وتضليله والرد عليه ، توفي سنة ( ٢٣١هـ / ٨٤٥م ) . [ انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٩٧/ ٦ ، وأملى المرتضى ١/ ١٣٣ ، وخطوط المقرئى ١/ ٣٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٤ والأعلام للزركلى ص ١/ ٤٣ ] .

(١١٨) موسى بن سيار الأسوارى : أحد القصاص من أهل البصرة ، له رواية ضعيفة في الحديث ، قال ابن حبان في ( كتاب المجروحين ) ( ٢/ ٢٤٠ ) : روى عنه عبد الواحد بن واصل منكر الحديث عن عطية ، ( فلسط أدري وقع المناكير في حديثه منه أو من عطية ) . وقد ضعفه يحيى القطان ، وقال أبو حاتم : مجهول . وقال ابن معين وغيره : كان قدرياً . وقال الجاحظ : كان من أعاجيب الدنيا ، فصيحاً بالفارسية كالعربية ، فلا يدري بأى لسان هو أبين . وفي تحقيق سنة وفاته قال صاحب ( الأعلام ) : ( فيه - أى لسان الميزان ) - إنه يروى عطية العوفى المتوفى سنة ١١١ ، وعلى هذا قدرت وفاته - نحو ١٥٠هـ / ٧٦٧م ) . [ انظر ترجمته في : المجروحين ٢/ ٢٤٠ ، والميزان ٤/ ٢٠٦ و ٤/ ٢٢٧ ، ولسان الميزان : ٦/ ١٢٠ ، والبيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ١/ ٣٦٨ والأعلام للزركلى ص ٧ - ٣٢٣ ] .

(١١٩) الآيتان ٣ و ٤ من سورة القيامة .

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا  
وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴿١٢٠﴾ .

وقد ثبت في الصحيح عن جابر <sup>(١٢١)</sup> : « أنه لما نزلت  
هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا  
مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال النبي ﷺ : أعوذ بوجهك - ﴿ أَوْ مِنْ  
تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : أعوذ بوجهك ، ﴿ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا  
وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : « هاتان  
أهون » <sup>(١٢٢)</sup> . وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ  
هُدًى ﴾ <sup>(١٢٣)</sup> .

ومن حكى من أهل الكلام عن أهل السنة والجماعة أنهم  
يقولون : إن العبد ليس قادرًا على غير ما فعل الذي هو  
خلاف المعلوم ، فإنه مخطئ فيما نقله عنهم من نفى القدرة

- 
- (١٢٠) جزء من الآية ٦٥ من سورة الأنعام .  
(١٢١) هو جابر بن عبد الله ، وقد سبقت ترجمته .  
(١٢٢) رواه البخارى في تفسيره للآية ، ورواه أيضًا في ( كتاب التوحيد ) ،  
ورواه النسائي في التفسير ، ورواه الحميدى في مسنده ، وابن حبان في  
صحيحه ، وابن جرير في تفسيره - وانظر تفسير ابن كثير للآية ص ٣٠/ ٣ .  
(١٢٣) جزء من الآية ١٣ من سورة السجدة .

مطلقاً ، وهو مصيب فيما نقله عنهم من نفى القدرة التي  
اختص بها الفاعل دون التارك ، وهذا من أصول نزاعهم في  
جواز تكليف ما لا يطاق .

فإن من يقول : الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ،  
فالتارك لا استطاعة له بحال - يقول : إن كل من عصى الله  
فقد كلفه الله ما لا يطيقه ، كما قد يقولون : إن جميع العباد  
كلفوا ما لا يطيقون . ومن يقول : إن استطاعة الفعل هي  
استطاعة الترك - يقول : إن العباد لم يكلفوا إلا ما هم  
مستوون في طاقته وقدرته واستطاعته ، لا يختص الفاعل دون  
التارك باستطاعة خاصة ، فأطلاق القول بأن العبد كلف بما  
لا يطيقه ، كأطلاق القول بأنه مجبور على أفعاله ؛ إذ سلب  
القدرة في المأمور نظير إثبات الجبر في المحذور - وإطلاق  
القول بأن العبد قادر مستطيع على خلاف معلوم الله  
ومقدوره .

وسلف الأمة وأئمتها ينكرون هذه الإطلاقات كلها ،  
لاسيما كل واحد من طرفي النفي والإثبات على باطل ، وإن  
كان فيه حق أيضاً ، بل الواجب إطلاق العبارات الحسنة ،  
وهي المأثورة التي جاءت بها النصوص ، والتفصيل في

العبارات المجملة المشتبهة ، وكذلك الواجب نظير ذلك في سائر أبواب أصول الدين أن يجعل ما يثبت بكلام الله عز وجل ورسوله وإجماع سلف الأمة هو النص المحكم ، وتجعل العبارات المحدثنة المتقابلة بالنفى والإثبات المشتبهة في كل من الطرفين في حق وباطل من باب المجمل المشتبهة المحتاج إلى تفصيل المنوع من إطلاق طرفيه .

وقد كتبنا في غير هذا الموضع ما قاله الأوزاعي<sup>(١٢٤)</sup> ، وسفيان الثوري<sup>(١٢٥)</sup> ، وعبد الرحمن بن مهدي<sup>(١٢٦)</sup> ،

(١٢٤) هو أبو عمرو : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، نسبة إلى قبيلة الأوزاع ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك سنة (٨٨هـ / ٧٠٧م) ونشأ في البقاع ، ثم سكن بيروت وتوفي فيها سنة (١٥٧هـ / ٧٧٤م) ، ويقال إن ما سئل عنه بلغ سبعين ألف مسألة أجاب عنها كلها . [ انظر ترجمته في : الوفيات ١ / ٢٧٥ ، وحلية الأولياء ٦ / ١٣٥ ، والشذرات ١ / ٢٤١ والأعلام للزركلي ص ٣ / ٣٢٠ ] .

(١٢٥) هو أبو عبد الله : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بنى ثور بن عبد مناة ، من مضر : من مشاهير علم الحديث حتى لقب بأمر المؤمنين فيه ، كان سيد أهل زمانه في التقوى والعلم ، ولد بالكوفة (٩٧هـ / ٧١٦م) ونشأ فيها ، ومات بالبصرة (١٦١هـ / ٧٧٨م) ، وله تصانيف كثيرة منها ( الجامع الكبير ) و ( الجامع الصغير ) . [ انظر في ترجمته : طبقات ابن سعد ٦ / ٢٥٧ ، وحلية الأولياء ٦ / ٣٥٦ ، وتهذيب التهذيب =

وأحمد بن حنبل<sup>(١٢٧)</sup> ، وغيرهم من الأئمة من كراهة إطلاق الجبر ، ومن منع إطلاق نفيه أيضًا .

وكذلك أيضًا : القول بتكليف ما لا يطاق لم تطلق الأئمة فيه واحدًا من الطرفين . قال أبو بكر عبد العزيز<sup>(١٢٨)</sup> ، صاحب الخلال<sup>(١٢٩)</sup> في ( كتاب القدر ) الذى فى مقدمة

= ١١١/ ٤ - ١١٥ ، وتاريخ بغداد ٩ - ١٥١ والأعلام للزركلى ص ٣ / ١٠٥ .

(١٢٦) هو أبو سعيد (الؤلئى) : عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى : من كبار حفاظ الحديث فى بغداد ، وله تصانيف ، ولد بالبصرة سنة ( ١٣٥هـ / ٧٥٢م ) وتوفى فيها ( ١٩٨هـ / ٨١٤م ) . [ انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٦ / ٢٧٩ ، وحلية الأولياء ٩ / ٣ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٠ والأعلام للزركلى ٣ / ٣٣٩ ] .

(١٢٧) سبقت ترجمته .

(١٢٨) هو أبو بكر : عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف البغوى : مفسر ، ثقة فى الحديث ، بغدادى من أعيان الحنابلة ، كان تلميذًا لأبى بكر الخلال ، ملقب به ( صاحب الخلال ) ، له مصنفات كبيرة فى الفقه والتفسير ، عاش ما بين سنة ( ٢٨٥هـ / ٨٩٨م ) وسنة ( ٣٦٣هـ / ٩٧٤م ) . [ انظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ٢ / ١١٩ - ١٢٧ ، والبداية والنهاية ١١ / ٢٧٨ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ٤٥٩ والأعلام للزركلى ص ٤ / ١٥ ] .

(١٢٩) هو أبو بكر الخلال : أحمد بن محمد بن هارون : مفسر عالم بالحديث =

( كتاب المقنع ) له : لم يبلغنا عن أبي عبد الله (١٣٠) في هذه المسألة قول فنتبعه ، والناس فيه قد اختلفوا ، فقال قائلون : بتكليف ما لا يطاق ونفاه آخرون ومنعوا منه . قال : والذي عندنا فيه أن القرآن شهد بصحة ما إليه قصدنا ، وهو أن الله عز وجل ، يتعبد خلقه بما يطيقون وما لا يطيقون . ثم قال في آخر الفصل : ولعل قائلًا أن يعارض قولنا فيقول : لو جاز أن يكلف الله العبد ما لا يطيق جاز أن يكلف الأعمى صناعة الألوان والمقعد المشي ، ومن لا يد له البطش ، وما أشبه ذلك ، فيقال له : قد قال ابن عباس : (١٣١) في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ (١٣٢) هو مشيهم على وجوههم ، وسقط السؤال في كل ما سألوا عنه على جواب ابن عباس في المشي على الوجوه .

= واللغة ، وهو من كبار الحنابلة من أهل بغداد ، جامع علم أحمد بن حنبل ومرتبته ، صاحب التصانيف العديدة ، توفي سنة ( ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ) . [ انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١٢ ، والبداءة والنهاية ١١ / ١٤٨ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٧ ، ومناقب الإمام أحمد ٥١٢ والأعلام للزركلي ص ١ / ٢٠٦ ] . (١٣٠) هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل وقد سبقت ترجمته .

(١٣١) سبقت ترجمته .

(١٣٢) جزء من الآية ٩٧ من سورة الإسراء .

ثم قال : وقد أبان أبو الحسن - يعنى الأشعرى - (١٣٣) فيما قدمنا ذكره عنه فى هذه المعانى بما فيه كفاية ، قال القاضى أبو يعلى : (١٣٤) لما حكى كلام أبى الحسن - يعنى أبا الحسن الأشعرى - قد فصل بين ما يقدر على فعله لا لاستحالته فيجوز تكليفه ، وما يستحيل لا يجوز ، قال : وظاهر كلام أبى الحسن الأشعرى الاحتمال فيما يستحيل وجوده ، هل يصح تكليفه أم لا ؟ قال : والصحيح ما ذكرناه من التفصيل ، وهو أن ما لا يقدر على فعله لاستحالته

(١٣٣) هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن إسحاق ( الأشعرى ) : مؤسس مذهب الأشاعرة ، من أئمة المتكلمين المجتهدين كان معتزلياً ثم خالف المعتزلة وجاهر بخلافهم . ولد بالبصرة ( ٢٦٠هـ / ٨٧٤م ) وتوفى ببغداد ( ٣٢٤هـ / ٩٣٦م ) . [ انظر ترجمته فى : طبقات الشافعية ٢ / ٢٤٥ ، والمقرئى ٢ / ٣٥٩ ، وابن خلكان ١ / ٣٢٦ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٨٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٢١٨ والأعلام للزركلى ص ٤ / ٢٦٣ ] .

(١٣٤) أبو يعلى القاضى : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ( بن الفراء ) : من أهل بغداد ، عالم حنبلى بلغ القمة فى عصره فى علوم الأصول والفروع ، وصاحب التصانيف العديدة ، منها ( الأحكام السلطانية ) (والمجرد) فى الفقه على مذهب الإمام أحمد . تولى قضاء بغداد ، وعاش فيما بين ( ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ) و( ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م ) . [ انظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ٢ / ١٩٣ - ٢٣٠ ، وتاريخ بغداد ٢ / ٢٥٦ ، شذرات الذهب ٣ / ٣٠٦ والأعلام للزركلى ص ٦ / ٩٩ ] .

كالأمر بالاحمال ، وكالجمع بين الضدين وجعل المحدث قديماً ،  
والقديم محدثاً ، أو كان مما لا يقدر عليه للعجز عنه ، كالمُقْعَد  
والأخرس الذى لا يقدر على الكلام ، فهذا الوجه لا يجوز  
تكليفه .

( والوجه الثانى ) : ما لا يقدر على فعله لا لاستحالته  
ولا للعجز عنه ، لكن لتركه والاشتغال بضده ، كالكافر  
كلفه الإيمان فى حال كفره ؛ لأنه غير عاجز عنه ولا مستحيل  
منه ، فهو كالذى لا يقدر على العلم لاشتغاله بالمعيشية ، فهذا  
الذى ذكره القاضى أبو يعلى هو قول جمهور الناس من الفقهاء  
والمتكلمين ، وهو قول جمهور أصحاب الإمام أحمد ، وذكر  
القاضى النصوص عن الأشعرى فيما ذكره القاضى عنه -  
وقد ذكر أن أبا بكر عبد العزيز ، ذكر كلام أى الحسن فى  
ذلك كما يذكر المصنف كلام أى الحسن فى ذلك ، وكما يذكر  
المصنف كلام موافقيه وأصحابه ؛ لأنه كان من جملة المتكلمين  
المنتسبين إلى الإمام أحمد وسائر أئمة السُّنة ، كما ذكر ذلك  
فى كتبه .

وأما أتباع أى الحسن ، فمنهم من وافق نفس الذى ذكره  
القاضى ، كالأبى على بن شاذان<sup>(١٣٥)</sup> .

(١٣٥) هو أبو على الواسطى : الحسن بن خلف بن شاذان ، روى عن =



وأتباعه ، ومنهم من خالفه كأبى محمد اللبان ،<sup>(١٣٦)</sup>  
والرازى<sup>(١٣٧)</sup> ، وطوائف قالوا : إنه يجوز تكليف الممتنع ،  
كاجمع بين الضدين ، والمعجوز عنه .

(و القول الثالث ) : الذى ذكره أبو بكر عبد العزيز ،  
وهو أنه يجوز تكليف كل ما يمكن ، وإن كان ممتنعاً فى

= إسحاق الأزرق ، ويزيد بن هارون ، وغيرهما ، وروى عنه البخارى فى  
صحيحه . توفى سنة ( ٣٤٦هـ ) ، [ انظر ابن كثير فى ( البداية والنهاية )  
١١ / ٢٤٧ ] .

( ١٣٦ ) هو أبو محمد : عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن البكرى الوائلى ،  
المعروف بابن اللبان ، فقيه شافعى من أهل أصبهان ، حدث ببغداد ، وتوفى  
بأصبهان سنة ( ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ) ، قال ابن عساكر : له كتب كثيرة  
مصنفة . [ انظر فى ترجمته : طبقات السبكي ٣ / ٢٠٧ ، وتبيين كذب المفتري  
٢٦١ والأعلام للزركلى ص ٤ / ١٢١ ] .

( ١٣٧ ) هو أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى : محمد بن عمر بن الحسن بن  
الحسين التيمى البكرى ، أوحّد زمانه فى التفسير والفقه والمعقول والمنقول  
وعلم الأوائى ، قرشى النسب ، ولد فى الرى ( ٥٤٤هـ / ١١٥٠م ) وأصله  
من طبرستان ، من تصانيفه ( مفاتيح الغيب ) فى التفسير ( ٨ مجلدات )  
( معالم أصول الدين ) وغيرها كثير جدا ، وتوفى رحمه الله فى هراة  
( ٦٠٦هـ / ١٢١٠م ) . [ انظر ترجمته فى : طبقات الأطباء ٢ / ٢٣ ،  
والوفيات ١ / ٤٧٤ ، ولسان الميزان ٤ / ٢٦ والأعلام للزركلى  
ص ٦ / ٣١٣ ] .

العادة ، كالمشي على الوجوه ، ونقط الأعمى المصحف .  
 وذكر أبو عبد الله بن حامد<sup>(١٣٨)</sup> ، شيخ القاضى  
 أبى يعلى فى أصوله ؛ قولى التفريق والإطلاق عن أصحاب  
 أحمد فقال :

### ( فصل )

لأنه ما وجد فى الأمر ، ولو وجد بالفكر ، وهذا مثل  
 ما لم ترد الشريعة به ، كأمر الأطفال ومن لا عقل له  
 والأعمى البصر ، والفقير النفقة ، والزَّيْن<sup>(١٣٩)</sup> أن يسير إلى  
 مكة ، فكل ذلك ما جاءت به الشريعة ، ولو جاءت به لزم  
 الإيمان به والتصديق فلا يقيد الكلام فيه . قال : وذهبت  
 طائفة من أصحابنا إلى إطلاق الاسم من جواز تكليف ما لا  
 يطاق من زَمَنِ وأعمى وغيرهم ، وهو مذهب جهم<sup>(١٤٠)</sup>

(١٣٨) هو أبو عبد الله : الحسن بن ماجد بن على بن مروان البغدادي : إمام  
 الحنابلة فى زمانه ومدرسهم وفقههم ، له مصنفات كثيرة فى الفقه وغيره ، وتوفى  
 راجعاً من الحج بقرب ( واقصة ) سنة ( ١٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ) . [ انظر  
 ترجمته فى : طبقات الحنابلة ١٧١/٢ - ١٧٧ والأعلام للزركلى  
 ص ١٨٧/٢ ] .

(١٣٩) الزَّيْنُ : المريض صاحب المرض المزمن الذى لا يرجى شفاؤه .  
 (١٤٠) هو أبو محمد : جهم بن صفوان السمرقندى ، من موالى بى راسب ، =

وبرغوث (١٤١).

(و) الوجه الثاني : سلامة الآلة ، لكن عدم الطاقة لعدم التوفيق والقبول ، وذلك يجوز وجهًا واحدًا في معنى هذا أنه يجوز التكليف لمن قدر علم الله فيه أنه لا يفعله ، وأى ذلك المعتزلة ، والدليل عليه قوله لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ (١٤٢) ، وقوله : ﴿ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ

= وإليه تنسب فرقة ( الجهمية ) أو ( الجبرية ) التي ترى أن الإنسان مجبر على أفعاله ، مُسَيَّر لا مخير ، وتنفي الصفات . قال الذهبي : الضال المبدع ، هلك في زمان صغار التابعين ، وقد زرع شرًا عظيمًا . استعمله الحارث بن سريح الخارج على أمراء خراسان الأمويين ، فظفر به نصر بن يسار وقتله عمرو على شط نهر بلخ سنة ( ٢٨هـ / ٧٤٥ م ) . ( انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ١ / ١٩٧ ، والكمال لابن الأثير ( حوادث سنة ١٢٨هـ ) ، ولسان الميزان ٢ / ١٤٢ ، والأعلام للزركلي ص ٢ / ١٤١ ) .

(١٤١) أبو عيسى : محمد بن عيسى برغوث ، تلميذ حسين بن محمد النجار ، قال عنه ابن تيمية في ( مجموع الفتاوى ) ١٧ / ٢٢٩ : كان ممن احتج على أن القرآن مخلوق بنفي التجسيم ، وهو من أكابر المتكلمين ( الذين جمعهم أبو داود للإمام أحمد لمناظرته في مسألة خلق القرآن ، وإن لم يكن معتزلاً ) . وقال في موضع آخر من ( المجموع ) ٥ / ١٩٤ : وهو - أى برغوث - من أئمة أهل النظر والكلام الذين ناظروا الفلاسفة خير المناظرة ، كأبي عبد الله محمد بن كرام ، وابن كلاب ، وجعفر بن مبشر ، وأبي إسحاق النظام . . . وغيرهم .

(١٤٢) جزء من الآية ٧٥ من سورة ص .

أَمَرْتُكَ ﴿١٤٣﴾ الآيات : فأمر وقد سبق من علمه أنه لا يقع منه فعله ، فكان الأمر متوجّهاً إلى ما قد سبق من علم الله أنه لا يطيقه .

( القول الثاني ) : منقول عن أبي الحسن <sup>(١٤٤)</sup> أيضاً ، وزعم أبو المعالي الجويني <sup>(١٤٥)</sup> أنه الذي مال إليه أكثر أجوبة أبي الحسن ، وأنه الذي ارتضاه كثير من أصحابه ، وقد توقف أبو الحسن عن الجواب في الموجز ، وكان أبو المعالي يختاره أولاً ، ثم رجع عنه وقطع أن تكليف ما لا يطاق محال ، وهذا القول الأول قول ابن عقيل <sup>(١٤٦)</sup> ، وأبي الفرج بن

(١٤٣) جزء من الآية ١٢ من سورة الأعراف .

(١٤٤) هو أبو الحسن الأشعري ، وقد سقت ترجمته .

(١٤٥) هو أبو المعالي : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، من أصحاب الشافعي ، الملقب بإمام الحرمين ، ولد في جوين سنة ( ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م ) ناحية نيسابور ، ورحل إلى بغداد ، ثم مكة ، ثم المدينة ، ثم عاد إلى نيسابور حيث حضر دروسه العلماء ، وله مصنفات كثيرة ، وتوفي بنيسابور سنة ( ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ) . [ انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٨٧/ ١ ، والسبكي ٢٤٩/ ٣ والأعلام للزركلي ١٦٠/ ٤ ] .

(١٤٦) هو أبو الوفاء : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري

( ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م ) - ( ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ) ، عالم العراق وشيخ الحنابلة

ببغداد في عصره ، صاحب التصانيف العديدة ، منها ( كتاب الفنون ) الذي =

الجوزى<sup>(١٤٧)</sup> ، وأبى عبد الله الرازى<sup>(١٤٨)</sup> وغيره ، وهذا  
( الثانى ) هو مذهب أبى إسحاق الإسفرائينى<sup>(١٤٩)</sup> ، وأبى  
بكر بن فورك<sup>(١٥٠)</sup> ، وأبى القاسم الأشعرى<sup>(١٥١)</sup> ،

= قال الذهبى عنه فى تاريخه : كتاب الفنون لم يصنف فى الدنيا أكبر منه ، وله  
( الفصول ) فى فقه الحنابلة ، عشرة مجلدات . ( انظر ترجمته فى : شذرات  
الذهب ٣٥/ ٤ ، ولسان الميزان ٤/ ٢٤٣ ، وطبقات الحنابلة ٤١٣ ، ومناقب  
الإمام أحمد ٢٥٦ والأعلام للزركلى ٤/ ٣١٣ ) .

(١٤٧) هو أبو الفرج : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى  
البغدادى ( ٥٠٨هـ / ١١١٤م ) - ( ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ) علامة عصره فى  
التاريخ والحديث ، مولده ووفاته ببغداد ، له ما يقرب من ثلاثمائة مصنف ،  
منها ( تلبيس إبليس ) و ( روح الأرواح ) و ( مناقب عمر بن عمر العزيز )  
وغيرها . ( انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩ ، والبداية والنهاية  
١٣/ ٢٨ والأعلام للزركلى ص ٣/ ٣١٧ ) .  
(١٤٨) سبقت ترجمته قريبا .

(١٤٩) هو أبو إسحاق : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران : ركن الدين ،  
العالم بالفقه والأصول ، يقال إنه أول من لقب من الفقهاء . له كتب عديدة  
منها ( الجامع ) فى أصول الدين ، وكان ثقة فى رواية الحديث ، مات فى  
نيسابور ( ٤١٨هـ / ١٠٢٧م ) ودفن فى موطنه إسفرايين ( بين نيسابور  
وجرجان ) . ( انظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/ ٤ ، وشذرات الذهب  
٣/ ٢٠٩ ، وطبقات السبكي ٣/ ١١١ والأعلام للزركلى ص ١/ ٦١ ) .  
(١٥٠) هو أبو بكر : محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهاني : من  
فقهائ الشافعية ، ومن العلماء الوعاظ ، حدث فى نيسابور ، وتوفى على مقربة

والغزالي<sup>(١٥٢)</sup> ، وَادَّعى أبو إسحاق الإسفرائيني أنه مذهب  
 شيخه أبي الحسن<sup>(١٥٣)</sup> وأنه مذهب أهل الحق ، فأما القاضى  
 أبو بكر<sup>(١٥٤)</sup> فقد قال بجوازه فى بعض كتبه ، وأكثر كلامه  
 على التفريق بين تكليف العاجز ، وبين تكليف القادر على  
 الترك ، كما هو قول الجمهور .

---

= منها ( ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ) ، بلغت تصانيفه فى أصول الدين وأصول الفقه  
 ومعانى القرآن قرىبا من المائة . [ انظر ترجمته فى الطبقات الكبرى للسبكي  
 ٥٦٠٥٢ / ٣ ، ووفيات الأعيان ١ / ٤٨٢ والآعلام للزركلى ص ٦ / ٨٣ ] .  
 ( ١٥١ ) نرحب أن المقصود هنا هو أبو الحسن الأشعري ، وأن ثمة خطأ قد  
 وقع فى النقل ، فأبو الحسن هو الأنسب لهذا السياق ، ولم أجد فى الأشعريين  
 من يُكنى بأبى القاسم .

( ١٥٢ ) هو أبو حامد الغزالي : محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسى . .  
 من طوس بخراسان ، فيلسوف متصوف ، لقبوه بحجة الإسلام ، تقرب  
 مصنفاته من المائتين عدداً ، ومن أشهرها ( إحياء علوم الدين ) ، و ( تهافت  
 الفلاسفة ) ، و ( المنقذ من الضلال ) وغيرها كثير . . ولد رحمه الله بطوس  
 ( ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ ) ومات فيها ( ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ) . [ انظر ترجمته فى :  
 وفيات الأعيان ١ / ٤٦٣ ، وطبقات الشافعية ٤ / ١٠١ ، وشدرات الذهب  
 ١٠ / ٤ والآعلام للزركلى ص ٧ / ٢٢ ] .

( ١٥٣ ) هو أبو الحسن الأشعري ؛ وقد سبقت ترجمته .

( ١٥٤ ) هو أبو بكر الحلال ، وقد سبقت ترجمته .

وفي المسألة ( قول ثالث ) : وهو الذى ذكره أبو بكر عبد العزيز<sup>(١٥٥)</sup> أنه يجوز تكليف كل ما يمكن وإن كان ممتنعاً في العادة - كالمشى على الوجه ، ونقط الأعمى المصحف - دون الممتنع - كالجمع بين الضدين .

وفصل الخطاب في ( هذه المسألة ) أن النزاع فيها في أصليين :

أحدهما : التكليف الواقع الذى اتفق المسلمون على وقوعه في الشريعة ، وهو أمر العباد كلهم بما أمرهم الله به ورسوله من الإيمان به وتقواه ، هل يسمى هذا أو شيء منه تكليف ما لا يطاق ؟ فمن قال : بأن القدرة لا تكون إلا مع الفعل يقول : إن العاصي كُلف ما لا يطيقه ، ويقول : إن كل أحد كلف حين كان غير مطيق ، وكذلك من زعم أن تقدم العلم والكتاب بالشئ يمنع أن يقدر على خلافه ، قال : إن كلف خلاف المعلوم فقد كلف ما لا يطيقه ، وكذلك من يقول : إن العرض لا يبقى زمانين ، يقول : إن الاستطاعة المتقدمة لا تبقى إلى حين الفعل .

---

(١٥٥) سبقت ترجمته .

وهذا في الحقيقة ليس نزاعاً في الأفعال التي أمر الله بها ونهى عنها ، هل يتناولها التكليف ؟ وإنما هو نزاع في كونها غير مقدورة للعبد التارك لها ، وغير مقدورة قبل فعلها ، وقد قدمنا أن القدرة نوعان ، وأن من أطلق القول بأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل فإطلاقه مخالف لما ورد في الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها - كإطلاق القول بالجبر - وإن كان قد أطلق ذلك طوائف من المنتسبين إلى السنة في ردهم على القدرية من المنتسبين إلى الإمام أحمد<sup>(١٥٦)</sup> وغيره من أئمة السنة : كأبي الحسن<sup>(١٥٦)</sup> ، وأبي بكر عبد العزيز<sup>(١٥٦)</sup> ، وأبي عبد الله بن حامد<sup>(١٥٦)</sup> ، والقاضي أبي بكر<sup>(١٥٦)</sup> ، والقاضي أبي يعلى<sup>(١٥٦)</sup> ، وأبي المعالي<sup>(١٥٦)</sup> ، وأبي الحسن بن الزاغوني<sup>(١٥٧)</sup> ، وغيرهم ، فقد منع من هذا الإطلاق جمهور أهل العلم كأبي العباس بن

---

(١٥٦) سبقت ترجمته .

(١٥٧) هو أبو الحسن : علي بن عبيد الله بن نصر بن السري : الفقيه المؤرخ ، من أعيان الحنابلة في بغداد ، كثرت تصانيفه في شتى علوم الأصول والفروع والحديث والوعظ ، عاش ما بين ( ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ) و ( ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ) . [ انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٤ / ٨٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٢١٦ والأعلام للزركلي ٤ / ٣١٠ ] .



سريح<sup>(١٥٨)</sup> ، وأبى العباس القلانسي<sup>(١٥٩)</sup> ، وغيرهما ، ونقل ذلك عن أبى حنيفة<sup>(١٦٠)</sup> نفسه ، وهو مقتضى قول جميع الأمة .

(١٥٨) هو أبو العباس : أحمد بن عمر بن سريح البغدادي . من أعيان فقهاء الشافعية ، ولد ببغداد سنة ( ٢٤٩هـ / ٨٦٣م ) وتوفى سنة ( ٣٠٦هـ / ٩١٨م ) ، وله تصانيف كثيرة جداً ، نحو أربعمئة مصنف . [ انظر ترجمته في : طبقات الشافعية للسبكي ١٧/ ٢ ، والبداءة والنهاية ١١/ ١٢٩ ، ووفيات الأعيان ١٧/ ١ والأعلام للزركلي ص ١/ ١٨٥ ] . (١٥٩) هو أبو العباس القلانسي ، قال عنه ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » ص ٥٥٧/ ٥ : من النظائر الذين فهموا أصل قول المتكلمين وعلموا ثبوت الصفات لله ، وأنكروا القول بأن كلامه مخلوق ، وفرحوا بالطريقة التي سلكها ابن كلاب - ( يقصد أبا محمد القطان : عبد الله بن سعيد المتوفى سنة ٢٤٥هـ / ٨٦٠م ) - ومثله في ذلك مثل أبى الحسن الأشعري ، وأبى عبد الله بن مجاهد .

(١٦٠) هو أبو حنيفة : النعمان بن ثابت ، التميمي بالولاء ، الكوفي : الفقيه المجتهد المحقق ، إمام الحنفية ، ولد بالكوفة ( ٨٠هـ / ٦٩٩م ) ونشأ بها ، ولما اشتهر في التدريس والإفتاء قصده أمير العراقيين عمر بن هبيرة لتولى القضاء فأبى ورعاً ، ودعاه المنصور العباس إلى قضاء بغداد فامتنع ، فحلف أن يفعل فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل ، فحبسه المنصور حتى مات ببغداد ( ١٥٠هـ / ٧٦٧م ) . [ انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣ - ٤٢٣ ، وابن خلكان ١٦٣/ ٢ ، والنجوم الزاهرة ١٢/ ٢ ، والبداءة والنهاية ١٠/ ١٠٧ والأعلام للزركلي ص ٨/ ٣٦ ] .

ولهذا امتنع إسحاق بن شاقلا<sup>(١٦١)</sup> من إطلاق ذلك ،  
وحكى فيه القولين : فقال - فيما ذكره عنه القاضى  
أبو يعلى - : الاستطاعة مع الفعل أو قبله ؟ حجة من قال :  
إن الصلاة والحج والجهاد لا يجوز أن يأمر به غير مستطيع ،  
وحجة من قال أن الفعل خلق من خلق الله عز وجل ، فإذا  
خلق فيه فعلاً فعله .

وهذا كما أن من قال : إنه ليس للعبد إلا قدرة واحدة يقدر  
بها على الفعل والترك ، وأنه مستغنى في حال الفعل عن معونة  
من الله تعالى يفعل بها ، وسوى بين نعمته على المؤمن والكافر  
والبر والفاجر ، فهو مبطل ، وهم القدرية الذين حاد منهم  
في الأيام المشهورة ، حيث كان قولهم إن العبد لا يفتقر إلى الله  
تعالى حال الفعل بالبر عما وجد قبل الفعل<sup>(١٦٢)</sup> ، وأنه ليس

---

(١٦١) أبو إسحاق : إبراهيم بن أحمد البغدادى البزار ، شيخ الحنابلة ، وتلميذ  
أبى بكر عبد العزيز ، توفى كهلاً فى رجب ( من سنة ٣٦٩ هـ ) ، وكان  
صاحب حلقة للفتيا بجامع المنصور . [ انظر ترجمته فى : ( العبر فى خبر من  
غير ) ٢ / ١٣١ ، و ( سير أعلام النبلاء ) ١٦ / ٢٩٢ ، ( وتاريخ بغداد )  
٢ / ١٢٨ - ١٣٩ ، و ( شذرات الذهب ) ٣ / ٦٨ ، و ( طبقات الشيرازى )  
١٧٣ ] .

(١٦٢) موضع إشارة من المحقق يقول فيها : كذا بالأصل .

لله تعالى نعمة أنعم بها على من آمن به وأطاعه أكبر من نعمته على من كفر به وعصاه ، فهذا القول خطأ قطعاً؛ ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على تضليل صاحب هذا القول .

ثم النزاع بينهم بعد ذلك في هذه الأمور كثير منه لفظي ، ومنه ما هو اعتباري ، كتنازعهم في أن العرض هل يبقى أم لا يبقى ، وبنوا على ذلك بقاء الاستطاعة ، ولكن أحسن الألفاظ والاعتبارات ما يطابق الكتاب والسنة ، واتفاق سلف الأمة وأئمتها الواجب أن يجعل نصوص الكتاب والسنة هي الأصل المعتمد الذي يجب اتباعه ويسوغ إطلاقه ، ويجعل الألفاظ حتى تنازع فيها الناس نفياً أو إثباتاً موقوفة على الاستفسار والتفصيل ، ويمنع من إطلاق نفى ما أثبتته الله ورسوله ، وإطلاق إثبات ما نفى الله ورسوله .

(و الأصل الثاني ) فيما اتفق الناس على أنه غير مقدور للبعد ، وتنازعوا في جواز تكليفه . وهو ( نوعان ) : ما هو ممتنع عادة كالمشي على الوجه والطيران ونحو ذلك ، وما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين ، فهذا في جوازه عقلاً ثلاثة أقوال كما تقدم . وأما وقوعه في الشريعة وجوازه شرعاً فقد اتفق حملة الشريعة على أن مثل هذا ليس بواقع في

الشريعة ، وقد حكى انعقاد الإجماع على ذلك غير واحد ،  
منهم أبو الحسن بن الزاغواني ، فقال :

### ( فصل )

تكليف ما لا يطاق وهو على ضربين :

( أحدهما ) : تكليف ما لا يطاق لوجود ضده من  
العجز ، وذلك مثل أن يكلف المُقْعَد القيام ، والأعمى الخط  
ونقط الكتاب ، وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يجوز تكليفه ، وهو  
مما انعقد الإجماع عليه ، وذلك لأن عدم الطاقة فيه ملحقة  
بالممتنع والمستحيل ، وذلك يوجب خروجه عن المقدور  
فامتنع تكليفه مثله .

( والثاني ) : تكليف ما لا يطاق لا لوجود ضده من  
العجز مثل أن يكلف الكافر الذي سبق في علمه أنه لا  
يستحب التكليف ، كفرعون وأبي جهل<sup>(١٦٣)</sup> وأمثالهم ،  
فهذا جائز ، وذهبت المعتزلة إلى أن تكليف ما لا يطاق غير  
جائز ، قال : وهذه المسألة كالأصل لهذه .

(١٦٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أحد سادات قريش =

قلت : وهذا الإجماع هو إجماع الفقهاء وأهل العلم ، فإنه قد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن تكليف الممتنع لذاته واقع في الشريعة ، وهذا قول الرازي<sup>(١٦٤)</sup> وطائفة قبله ، وزعموا أن تكليف أبي لب<sup>(١٦٥)</sup> وغيره من هذا الباب ، حيث كلف أن يصدق بالأخبار التي من جملتها الإخبار بأنه لا يؤمن ، وهذا غلط ، فإنه من أخبر الله أنه لا يؤمن وأنه يصلي

ودهاها في الجاهلية ، وأشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ، كان يقال له ( أبو الحكم ) فدعاه المسلمون ( أبو جهل ) ، شهد بدرًا مع المشركين فكان من قتلاها سنة ( ٢ هـ / ٦٢٤ م ) . [ انظر ترجمته في : ابن الأثير ١ / ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ ، وعيون الأخبار ١ / ٢٣٠ ، والسيرة الحلبية ٢ / ٣٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٢٢ ، وإمتاع الأسماع ١ / ١٨ والأعلام للزركلي ص ٨٧ / ٥ . ]

(١٦٤) سبقت ترجمته .  
(١٦٥) هو أبو لب : عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، عم رسول الله ﷺ ، منعه الكثير من أتباع ابن أخيه ، وكان غنيًا عتيًا ، أحمر الوجه مشرقًا ، فلقب بأبي لب في الجاهلية ، وكان من أشد الناس عداوة وكيدًا للمسلمين ، فنزل فيه ﴿ ثبت يدا أبي لب وتب \* ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ مات بعد وقعة بدر بأيام ( ٢ هـ / ٦٢٤ م ) ولم يشهد بها . [ انظر ترجمته في : ابن الأثير ٢ / ٢٥ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١ / ٨٤ و ١٦٩ ، والروض الأنف ١ / ٢٦٥ و ٢ / ٧٨ و ٧٩ ، وإمتاع الأسماع ١ / ٢٢ والأعلام للزركلي ص ١٢ / ٤ . ]

النار بعد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان فقد حقت عليه كلمة العذاب : كالذى يعاين الملائكة وقت الموت ، لم يبق بعد هذا مخاطباً من جهة الرسول بهذين الأمرين المتناقضين .

وكذلك من قال إن تكليف العاجز واقع محتجاً بقوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾<sup>(١٦٦)</sup> فإنه يناقض هذا الإجماع ، ومضمون الإجماع نفى وقوع ذلك فى الشريعة ، و(أيضاً) فإن مثل هذا الخطاب إنما هو خطاب تعجيز على وجه العقوبة لهم لتركهم السجود وهم سالمون ، يعاقبون على ترك العبادة فى حال قدرتهم بأن أمروا بها حال عجزهم على سبيل العقوبة لهم ، وخطاب العقوبة والجزاء من جنس خطاب التكوين ، لا يشترط فيه قدرة المخاطب ؛ إذ ليس المطلوب فعله ، وإذا تبينت الأنواع والأقسام زال الاشتباه والإبهام .

\* \* \*

---

(١٦٦) الآية ٤٢ من سورة القلم .



## فهرس الأحاديث

(أ)

- « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ..... ١٤
- « أعوذ بوجهك . . . » ..... ٦٤
- « اللهم أنجز لى ما وعدتنى . . . » ..... ٥٣
- « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا » ..... ٣
- « إن الله وكل بالرحم ملكا » ..... ٣١
- « إن الله يلوم على العجز » ..... ٤٩
- « إنى عبد الله وخاتم النبيين » ..... ٦
- « إنى عند الله لمكتوب بخاتم النبيين . . . » .....

(ب)

« بل فىم جفت به الأقلام وطويت الصحف . . » .....

(ص)

« هل قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا . . » ..... ٥٩

( ك )

- « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ..... ٥١  
 « الكيس من دان نفسه . . . » ..... ٤٩

( ل )

- « لا ، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم . . . » ..... ٢٦  
 « لست بقارئ . . . » ..... ٤٥

( م )

- « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده . . . » ..... ١٤  
 « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . . . » ..... ٩  
 « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله . . . » ..... ٤٨

( ن )

- « نعم ، كل ميسر لما خلق له » ..... ٢٤

( هـ )

- « هاتان أهون . . . » ..... ٦٤  
 « هذا مصرع فلان . . . » ..... ٥٢  
 « هي من قدر الله . . . » ..... ٣٤



( ٩ )

« وآدم بين الروح والجسد . . . » . . . . . ٤٤

\* \* \*







## فهرس تراجم الأعلام

(أ)

الأسوارى .	٦٣
الأوزاعى ( أبو عمر : عبد الرحمن بن عمرو ) .	٦٦
ابن عقيل ( أبو الوفاء : على بن عقيل ) .	٧٤
ابن ماجه ( محمد بن يزيد ) .	٥٠
أبو إسحاق الإسفرائينى .	٧٥
أبو إسحاق بن شاقلا .	٨٠
أبو الأسود الدؤلى ( ظالم بن عمرو ) .	٢٥
أبو بكر الخلال .	٦٧
أبو بكر عبد العزيز ( صاحب الخلال ) .	٦٧
أبو بكر بن فورك .	٧٥
( عمرو بن هشام )	٨٢
أبو الحسن الأشعرى .	٦٩
أبو الحسن الزاغونى .	٧٨
أبو حنيفة ( النعمان بن ثابت ) .	٧٩
أبو داود ( سليمان بن الأشعث ) .	٤٩
أبو الزبير ( محمد بن مسلم بن تدرس ) .	٢٦
٨٩	

- ٧٩..... أبو العباس بن سريج
- ٧٩..... أبو العباس القلانسي
- ٧١..... أبو عبد الله الرازي ( فخر الدين )
- ٧٢..... أبو عبد الله بن حامد
- ٧٠..... أبو علي بن شاذان
- ٧٥..... أبو الفرج بن الجوزي
- ٨٣..... أبو هب ( عبد العزى بن عبد المطلب )
- ٧١..... أبو محمد بن اللبان
- ٧٤..... أبو المعالي الجويني
- ٦٩..... أبو يعلى القاضي
- ٤٥..... أحمد بن حنبل
- ٣١..... نس بن مالك
- ( ب )
- ٢٤..... البخاري ( محمد بن إسماعيل )
- ٧٢..... برغوث ( أبو عيسى : محمد بن عيسى )
- ( ت )
- ٣٣..... الترمذي ( أبو عيسى : محمد بن عيسى )
- ( ج )
- ٢٧..... جابر بن عبد الله

٧٢.....جهم بن صفوان .

( ح )

٣٢.....خديفة بن أسيد الغفاري .

..... ( ز )

٢٦.....زهير بن حرب ( أبو خيثمة النسائي ) .

( س )

٢٧.....سراقة بن مالك .

٦٦.....سفيان الثوري .

( ش )

٥٥.....الشافعي .

٥٠.....شداد بن أوس .

( ع )

٦٦.....عبد الرحمن بن مهدي ( أبو سعيد الوائلي ) .

٥٥.....عبد الله بن عباس .

١٤.....عبد الله بن عمر .

١٠.....عبد الله بن مسعود .

٤٥.....العرباض بن سارية .

٢٨.....علي بن أبي طالب .

٢٤.....عمران بن حصين .

( غ )

الغزالي ( أبو حامد ) . ٧٦.....

( م )

مالك بن أنس . ٥٥.....

مسلم بن الحجاج ( الإمام ) ، ٢٥.....

ميسرة الفجر . ٤٣.....

( ن )

النظام ( أبو إسحاق إبراهيم بن سيار ) . ٦٢.....

( و )

وائلة بن الأسقع . ٥٥.....

\* \* \*



## فهرس الكتاب

الموضوع	صفحه
١- مقدمه .....	٥
٢- السؤال الاول : .....	٩
أكفر من اليهود والنصارى	
بطلان قولهم من وجوه : .....	١١
الوجه الاول . .....	١١
الوجه الثاني .....	١٢
الوجه الثالث .....	١٢
الوجه الرابع .....	١٣
الوجه الخامس .....	١٤
الوجه السادس .....	١٥
فصل ( من سبق له الحسنی ) .....	١٦
فصل ( المستطیع القادر و غیر المستطیع ) ....	١٧
فصل ( كتب افعال العباد ) .....	١٨
فصل ( معصية آدم ربه ) .....	١٩
فصل ( الوعد والوعيد ) .....	٢٠

- ٢٣ ..... السؤال الثاني :
- ٢٤ ..... كل ميسر لما خلق له
- ٣٠ ..... أربعون يوما نطفة
- ٣٣ ..... هي من قدر الله
- ..... الجهل من وجهين :
- ٣٦ ..... الوجه الاول
- ٤٠ ..... الوجه الثاني
- ٤٢ ..... العلم غير الوجود من ثلاثة اوجه
- ٤٣ ..... معني المكتوب في القدم
- ٥٤ ..... القدرية فريقان
- ٥٩ ..... الاستطاعة في كتاب الله
- ٦٤ ..... تكليف ما لا يطاق
- ٧٠ ..... الوجه الثاني ( تكليف ما يطاق )
- ٧١ ..... القول الثالث ( تكليف كل ما يمكن )
- ..... فصل الخطاب :
- ٧٧ ..... الأصل الاول في النزاع
- ٨١ ..... الأصل الثاني في النزاع



٨٢	..... فصل ( تكليف ما لا يطاق )
٨٥	..... فهرس الأحاديث
٨٩	..... فهرس الأعلام
٩٣	..... فهرس الكتاب

\* \* \*



رقم الإيداع

٩٢ / ٧٨٣٩

I.S.B.N

977-270-019-0



تجهيزات أوفست

**جهاد**

٩٢ شارع سنن - الريثون - القاهرة



## هذا الكتاب

« وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » ( صدق الله العظيم )

بهذا التعبير البالغ الإيجاز والقوة أخبرنا العليم الخبير بصفة من صفات البشر ، صفة نعيد اكتشافها كل يوم في شتى المسائل التي نقابلها ونناقش من حولها ، إلا ما عصم ربي ..

ومن أكثر القضايا إثارة للجدال والحاجة قضية الاحتجاج بالقضاء والقدر ، يقولون : إذا كان الله قد كتب علينا اقتراف المعاصي ، فلم يعد بنا بذنوبنا ، ولم يدخلنا النار ؟ وإذا كنا من أهل النار - في سابق علم الله - فلن تفيدينا الطاعة ، وإذا كنا من أهل الجنة - قدرًا - فلن تضربنا المعصية .. إذن فلنفعل ما نشاء كيفما نريد ..

ولا تجذب مثل هذه الأقوال الفاسدة إلا على أفواه العصاة وأهل الذنوب ، الذين كان لشيخ الإسلام - أحمد بن حنبل - اليد الطولى في الرد عليهم وتفنيد آرائهم ، بالقول السديد الرشيد ، وبأسلوبه الرائع البليغ .

وهذا الكتاب سفرٌ صغير الحجم ، كبير الفائدة ، بليغ المعاني ، يتضمن رد شيخ الإسلام - بالحجة الدامغة والبرهان الساطع - على سؤالين مهمين من أسئلة المحتجين بالقضاء والقدر .

نسأل الله تعالى أن ينفع به ، وأن يجعله سبيلاً لإثارة سبيل الناهين الحائرين ، الباحثين في هذه المسألة عن الحق اليقين .

الناشر



طبعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالحق لورث - بيروت ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠ - ٢٠٢٠٢٠

AL-DAR AL-MASRIYAH AL-LUBNANIAH

PRINTING - PUBLISHING - DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt. PHONE: 3936743-3936743 FAX: 3996618 CARLE DARSHADO